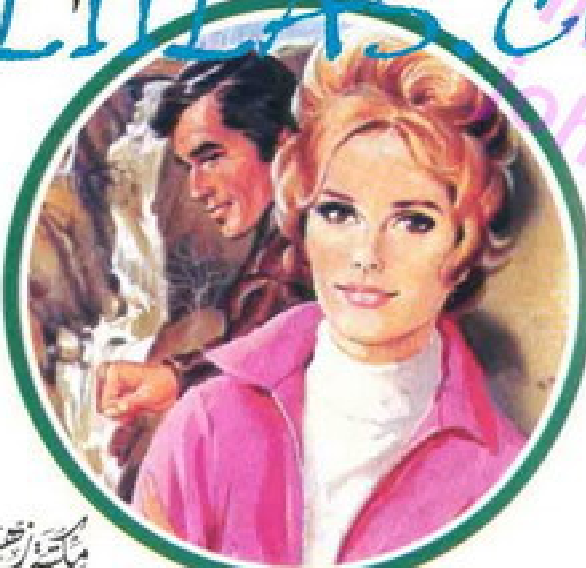
روايات رومانسية عالمية

عبير

ليليان بيك

بانتظار الكلام



مكتبة زهران

ليليان بيك - بانتظار الكلام

مكتبة زهران

روايات رومانسية عالمية

عبير

بانتظار الكلام

هناك من

يقول: العلماء بعيدون عن حياة الحب بل أكثر من ذلك أحياناً. يتهمونهم بقلة الحساسية والانسانية وبأنهم يبنون حياتهم على أسس علمية بحتة. ويذهب بعض العلماء ومنهم ادريان كرافورد عالم الرياضيات إلى منع دخول المرأة في حياتهم او حتى بيوتهم ولو لغرض التنظيف! تسأله روزالي مدرسة الكلية الجديدة عن أسباب عدائه للمرأة. فيعطيها رأيه بأن المرأة ملهاة بغيضة عما هو مهم في الحياة. وأنها مصدر للازعاج يمكن تجنبه

تخاف روزالي من آرائه خاصة أن عواطفها تتجه نحوه بشكل يفقدها السيطرة على نفسها. فتهرب لتحتمي بصداقة واليس ماسون.

هل تستطيع الاستمرار وهناك امرأة أخرى تدخل حياته؟

مكتبة زهران
جمهورية مصر العربية
٥١ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر

١ - لا نساء في حياتي!

دقت روزالي على باب مكتب ابيها ثم فتحت الباب فدفعت برأسها الى الداخل. انها فارغة. احست بخيبة، لكنها دخلت واغلقت الباب خلفها. ثم مشت بتأن واطلت على مكتب السكرتيرة المتصل بمكتب ابيها. انه فارغ ايضاً. لا بد ان تكون جين قد ذهبت الى البيت.

ثم تنهدت روزالي. انه اليوم الأول لعملها الجديد. لذلك فهي متوترة الأعصاب قليلاً، لكنها مفعمة بالرضى والاعتزاز. كم تود ان تتحدث عن ذلك، ان تقول لاحد ما، كيف استمتعت بعملها. كيف تفضل عملها كمحاضرة في كلية، بدلاً من معلمة في مدرسة للأولاد. ولكن حيث لا يوجد من تكلمه عما في قلبها فليس امامها سوى التحكم بتشوقها للحديث هذا، فترضى بالتفكير فقط.

اسقطت حقيبتها الى الأرض وجلست على الكرسي المتحرك خلف طاولة والدها، ذلك الكرسي الذي كثيراً ما شعرت بسرور خاص كلما جلست عليه. ولطالما فعلت ذلك حينما كانت تزور الكلية مع والدها، قبل ان تصبح هي نفسها من اعضاء هيئة الكلية التدريسية. حين ذاك كان هدفها الأول ذلك الكرسي المتحرك حيث تروح تتأرجح بدوائر لا نهاية لها فيطفح البشر على وجهها حتى يصيبها الدوران. وكان من عادة والدها ان يدع لها الحبل على الغارب فيعطيها بضع دقائق لتمرح وتتعب نفسها قبل ان يطلب اليها ترك

الكرسي فيجلس هو عليه.

لكنها اليوم اكثر حذراً بجلوسها. انتصبت على الكرسي بهدوء وقاومت الرغبة الدفينة نحو التحرك اللولبي. لقد هيأت نفسها لانتظار طويل. فهي تعرف ان والدها سيتأخر، فطالما فعل ذلك. كانت تعطي نفسها نصف ساعة اضافية على اي وقت يعود فيه بالوصول. نزعت سترتها ووضعتها على مسند الكرسي الى الخلف، وقع نظرها على سلة المهملات فوجدتها فارغة وقلبتها رأساً على عقب. جلست مرة اخرى على الكرسي، خلعت حذاءها ووضعت قدميها على سلة المهملات المقلوبة، ثم راحت تنتظر.

وحيث اخذ الملل يتمكن منها قليلاً، راحت تبحث في حقيبتها اليدوية، فاخرجت علبة من الشوكولاته وبدأت تأكل لتلهي نفسها في قضاء الوقت. بعد ذلك جعلت تفتش حولها، التقطت شيئاً ما من بين اوراق والدها ثم اعتدلت في الكرسي، وراحت تقرأ.

انهمكت بالقراءة لدرجة انها نسيت الوقت، حتى انها اندهشت عندما وجدت النصف ساعة التي اعتادت اضافتها لموعد والدها قد مرت، فصارت تفقد صبرها، وخالجها قليل من الانزعاج. وبينما هي تهم بجر نفسها من مقعدها المريح انفتح باب المكتب. اسرعت بعرض ابتسامة ترحيبية على وجهها، وبجمع الكلمات التأنيبية الرقيقة: «جئت بموعدك بالضبط كعادتك!»، التي كثيراً ما اعادتها على والدها. ولكن هول المفاجأة هو ان من فتح الباب لم يكن والدها، بل شخصاً غريباً تماماً.

انه طويل القامة قوي الجسم ذو وجه وسيم تمتاز ملامحه بالعزيمة والارادة مما اضفى بريقاً مخيفاً لعينيه السوداوين. خطا الى داخل الغرفة بينما اخذت عيناه تنظران اليها بقوة، وكأنهما لا تريدان تصديق ما رأتاه. وعندما تكلم، اتسم صوته بالانضباط، لكن بوادر الانزعاج كانت بادية عليه بدون شك.

«هل لك من فضلك ان تقولي لي بالضبط، ما عساك تعملين هنا؟».

وبينما هي ترقب الغضب في عينيه، وصار يحول وجهه الى مظهر التعالي والغطرسة، صارت هي على درجة حادة من الاضطراب. «كيف يبدو مظهري الآن؟»، راحت تفكر مع نفسها وقد ساورها الحياء واضطربت علائم وجهها وقد انزلت قدميها الى ارض الغرفة بسرعة، واعادت لطاولة والدها الاوراق التي كانت تقرأ بها. ثم اخذت تبحث باضطراب عن حذائها، لبستهما ووقفت على قدميها بانفعال وهي تشعر وكأنها قد اقترفت جريمة شنيعة - يبدو ان الأمر كذلك في عيني هذا الرجل الذي راح يحملق بحركاتها بصمت متجمد.

«ارجو المعذرة... متأسفة»، هو كل ما استطاعت قوله بينما استمر الرجل مقطباً حاجبيه.

«هل انت موظفة جديدة هنا؟ لم ارك هنا من قبل؟».

«نعم، بدأت العمل اليوم فقط. انه اليوم الأول من السنة الدراسية كما تعلم».

اي حد من ضعف الشخصية يمكن ان اصله؟ راحت تفكر مع نفسها. لقد كان جوابه لها وكأنها في الخامسة من العمر فقط. فشعرت ان لا لوم يقع عليه من ذلك.

«انني اقدر جيداً كونك جديدة ولكن ما لا يمكنني فهمه كيف يمكنك ان تخطئي بهذه الغرفة وهي تعود لرئيس قسم - فلم تميزيها عن غرفة الموظفين الواسعة المشتركة او حتى غرفة استراحة السيدات، والتي كما يبدو لي تعتقدين انك جالسة فيها! الا تستطيعين ان تقرأي العنوان بحروف واضحة على الباب: رئيس قسم العلوم والرياضيات - واضحة بما فيه الكفاية حتى لشخص دون مستوى الذكاء ليحل رموزها. لأي قسم تعودين انت؟».

لقد كان لاسلوب السخرية هذا فعل شديد فيها، اصابها في الصميم، فأمسكت بقبضة حقيبتها المكتبية وكأنها تريد ان تفلت من

بين اصابعها. ثم سحبت شفتيها وقالت:
«اذا وجب عليك ان تعرف، فانني من قسم الأعمال والدراسات العامة، انني محاضرة في الدراسات العامة».
وهنا لم تصدق عينيها، وهي تراه يدخل يده في جيبه بصورة عاجلة، ويخرج ورقة وراح يكتب عليها المعلومات التي اعطتها له.
«الاسم؟».
عند هذا الحد اخذت تستعيد بعض هدوئها. لم تكن الأمور سهلة امامها في السابق وهذه المناسبة يمكن اعتبارها في سياق الصعوبات المارة. لماذا يجب علي ان اعطيه اسمي؟ فكرت مع نفسها. هل يتصور انه يستطيع ارباكي باسلوبه المتعالي هذا لمجرد كوني موظفة جديدة؟ لقد عرفت انه ليس المدير ولا وكيل المدير لأنها كانت قد قابلتهما في السابق. اذن قررت ان لا تعطي اي معلومات لهذا الشخص المتباهي.
«اعيد مرة اخرى، اسمك؟».
لا زالت صامتة، لم تقل شيئاً.
«ربما ينبغي ان اوضح لك»، قال وهو يظهر مزيداً من الصبر، «انني احد كبار اعضاء المؤسسة. انني في الواقع، وكيل رئيس هذا القسم».
هنا بدأت تلمس رأس الخيط. بدأت تعرف من يكون هذا الرجل. فهو اذن ذلك الرجل الذي تحدث ابوها عنه بعبارات المدح المتناهية. انه لامع، كان ابوها يقول عنه، انه سيتقدم، سيصل الى القمة قبل ان تنقضي بضع سنوات واكمل كلامه:
«وعليه، فانني مسؤول عن محتويات هذه الغرفة حينما يكون رئيس القسم غائباً. لا يمكنني ان اسمح لأي احد بما في ذلك انت، ان يفلت بدون عقاب مما يمكن اعتباره عملية اختيال، لاحظي احتلالك الوقح لهذه الغرفة وموقفك عندما دخلت انا، وفوق كل ذلك، الحقيقة الصارخة وهي انك كنت تقرأين مستندات سرية، استحصلت عليها من هذه الطاولة. الآن هل لك ان تعطيني اسمك؟».
«متأسفة لكنني ارفض».
بعد كل الذي قاله، لا يمكنها، لا تستطيع ان تقول له، بكل بساطة، عن العلاقة التي تربطها برئيس القسم. في الوقت الذي شعرت به بعدم الارتياح لهذا الرجل، فانها لا تستطيع ان تضعه بموقف لا بد ان يكون محرجاً له لو اكتشف انها ابنة رئيس القسم.
«حسناً». اعاد الورقة الى جيبه. «لدي الآن معلومات كافية لاتهامك، وكونك ترفضين ان تعطيني اسمك سيجعل المسألة اسوأ، ولكن حقيقة كونك حديثة العهد في العمل قد تشكل نقطة تخفيف لمشكلتك على انني سأحاول ان اقلل من اهمية تلك الحقيقة بالنسبة لما قمت به. الآن، اخرجي من هنا بسرعة!».
احمرت وجنتاها من الغضب، سحبت معطفها وجمعت حاجياتها ادارت سلة المهملات الى وضعها الاعتيادي، ثم رمته بنظرة مليئة بالتحدي وهي تخرج من ممر الباب لتواجه ابيها يدخل مسرعاً الى الغرفة.
«روزالي، يا عزيزتي، متأسف تأخرت طويلاً عنك. هل تعبت من الانتظار؟ تعالي ارجعي وانتظريني للحظة. ها هو، دكتور كرافورد، انكما قد التقيتما».
وقفت الى جانب ابيها وهي تتمتع بمنظر الذهول والاضطراب الذي بدا على وجه نائب رئيس القسم، ولكن تلك اللحظة مرت بسرعة وارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة.
«لا يمكنني الانتظار لكي اقدم بصورة رسمية لابنتك الساحرة ايها السيد بارهام».
اشار فرانكلين بارهام عليهما التقدم احدهما للآخر لكن يداهما لم تتلامسا حيث احتفظت روزالي بيدها ممسكة بحقيبتها المكتبية.
«روزالي، اقدم الدكتور كرافورد. . . اي. . . ادريان، الاسم

الثاني اليس كذلك؟ دكتور ادريان اقدم ابنتي روزالي. انه يومها الأول هنا. كيف تعرفتما على بعض يا عزيزتي؟». ثم التفت الى دكتور كرافورد. «انها محاضرة في موضوع الدراسات العامة».

قال موضحاً وهو يبتسم الى ابنته، لكن روزالي تعلم ما تعنيه تلك الابتسامة كما تعلم ما في الاكمام.

«واقول باعتباري عالماً، ان مدرسي موضوع الدراسات العامة شر لا بد منه بالنسبة لكلية متخصصة بالعلوم. وابنتي تعلم بآراء ابيها حول ذلك، أليس كذلك؟».

ابتسمت روزالي ابتسامة فاترة.

«اعرف ذلك جيداً يا بابا». نظرت الى الرجل الآخر «وانت بلا شك ايضاً واحد من هؤلاء العلماء المهرة يا دكتور كرافورد».

«نعم بالفعل يا آنسة بارهام. انني عالم رياضيات مثل ابيك، لكنك اضفت كلمة «الماهر» وانا لست كذلك».

«نعم انه من العلماء المهرة يا عزيزتي» قال الأب. «لقد حصل لتوه على درجة الدكتوراه، فلا تستمعي لتعابيره المتواضعة هذه».

لم تستطع روزالي ان تقاوم شعورها بالسخرية تجاه الرجل.

«هل الدكتور كرافورد متواضع بالفعل؟ انك تثير استغرابي؟ فتلك صفة لا يخطر ببالي انطباقها عليه».

«آه، انها تتداعب معك الآن يا دكتور كرافورد. كما ترى انها تعيش في عائلة من العلماء، امها عالمة بالرياضيات ايضاً. ان ابنتي قد اكتسبت بمرور السنين حساسية خاصة تجاه العلماء. وكلماتها هذه نتيجة فرض الاتجاه العلمي عليها منذ طفولتها».

«انني افهم ذلك». قال الرجل الأخر وراحت عيناه تتفحصان وجهها عن قرب مما اثار غضبها.

«السنا ذاهبان الى البيت يا بابا؟».

سألت وقد اختلج صوتها من الغضب.

«سأحتاج فنجاناً من الشاي. لقد اخذت ما يكفي من التجارب

المزعجة لهذا اليوم واحتاج الآن لما ينعشني».

تمسك والدها بالكلمات التي تفوهت بها.

«التجارب غير المسرة؟ لماذا يا عزيزتي، الم تستمتعي بيومك الأول هنا؟».

«نعم، جداً» قالت وقد رمت الدكتور كرافورد بنظرة آملة ان يفهم الاشارة.

«انني لم اعن ذلك».

وهنا اغلق ابوها حقيبته المكتبية وامسك بذراعها.

«اراك غداً يا دكتور كرافورد حول مسألة التعاون الذي تحدثنا عنه».

ثم التفت الى ابنته.

«سيساعدني الدكتور كرافورد في كتابة الكتاب الدراسي للرياضيات الذي يشغل بالي».

رفعت روزالي حاجبيها باسلوب تعمدت ان يظهر عدم اكتراثها:

«أليس ذلك لطف منه».

قالت ببرود. ابتسم الدكتور كرافورد، بسبب عدم الجدية في نبرتها.

تبعت روزالي ابيها الى البيت، علقت سترتها في مشجب الملابس الموجود في صالة البيت وتوجهت مباشرة الى المطبخ.

«هل ماما هنا هذه الليلة؟».

سألت بصوت عال. أجابها والدها وهو في منتصف درجات السلم المؤدي للطابق الثاني من البيت:

«كلا، لا بد ان تصل مبكرة لكي نتناول الشاي معاً».

اليس اختراع الطباخ الحديث نعمة لا تنكر؟ راحت روزالي تسائل نفسها وهي تلبس قفازاتها الوقائية ثم تفتح الفرن. كانت شريحة اللحمة تتحمص في طبقها الخزفي. أدارت زر الطباخ لكي تتباطأ الحرارة. ثم أخرجت هلامة الفاكهة من الثلاجة وأدارتها من

قالبها في الاناء، ثم فتحت علبة من القشطة الطازجة. وبينما أصبحت وجبة الطعام مهيأة للتقديم دخلت والدتها الى البيت.

وجدت سارة بازهام ابنتها في المطبخ.

«مرحباً عزيزتي»، قالت بينما تهيأ روزالي لحمل الطعام الى الغرفة. لقد طبخت وجبة الطعام، اليس كذلك؟ كم لطيفة انت يا بنيتي؟».

نظرت روزالي الى امها، نحيفة البنية قامتها لا يمكن اعتبارها طويلة، وشعرها الاصفر الضارب الى الحمرة الذي اختلطت به بضع شعيرات بيضاء، ففكرت كم هي جذابة رغم انها في اواخر الاربعين من العمر.

وضعت روزالي ذراعيها حول والدتها:

«انت تعرفين اني اطبخ الوجبة دائماً يا ماما».

قالت وهي تضع خدها على شعر امها. رفعت سارة ذراعي ابنتها وسحبت نفسها.

«يجب ان ارى ابيك. اريد مساعدته في مسألة رياضية، طلب تلميذ مني ان احلها. اين هو، في الطابق العلوي؟».

هزت روزالي رأسها محتجة على عدم تجاوب امها. اتجهت سارة نحو السلم وهي تقول:

«يجب ان اغتسل اولاً».

وهناك في الطابق الثاني ظلت سارة وزوجها يتحدثان ويضحكان طويلاً حتى انهما لم يسمعا النداء عليهما لتناول الطعام.

وفكرت روزالي مع نفسها كيف سيكون الحال لو كانت لديها ام من نوع الامهات الاعتياديات اللواتي لم يمتلكن الذكاء الكافي ليكن بمركز المحاضرة في الجامعة مثل امها، ان تكون لديها ام تعمل في مخزن مثلاً، او بعمل من هذا المستوى العام فتمنح حبها بدون تقتير او تحفظ؟.

لجأت روزالي الى تناول الجزء الأول من وجبة الطعام لوحدها. لا

زالا يتحدثان في الطابق الأعلى وروزالي متأكدة انهما يجلسان على سرير النوم والاقلام بيديهما والورق امامهما وهما مستغرقان تماماً في المسألة الرياضية التي اشارت اليها امها.

وعندما نزلا من السلم اخيراً، كانت يداهما متشابكتين. وهنا كانت روزالي تطرد من فكرها حقيقة شعورها انها معزولة عن حبهما، وربما تكون زائدة عن محيط حياتهما. «انني بضاعة قابلة للصرف»، قالت بصمت وقد ساورها احساس عميق بالاشفاق على النفس. «انهما سعيدان ببعضهما، ولا شك انهما ليسا بحاجة الي». لكنها سرعان ما راحت تؤنب نفسها لتفكيرها هذا.

لم تتذكر سارة ان روزالي قد انهت اول يوم لها في عملها الجديد الا بعد ان قاربت وجبة الطعام على الانتهاء.

«انني متأسفة» قالت الأم، «كيف اسمح لنفسي ان أنسى؟ هل اعجبك العمل في الكلية، اكثر من عمل المدرسة؟».

احست روزالي فجأة بالفرحة حيث ادخلت في الحديث اخيراً بين الاثنين، وراحت تتحدث بانشراح وحماس:

«نعم يا ماما، انه افضل بكثير. العمل في الكلية يختلف كثيراً، فالطلبة يبدون اهتماماً اكبر بما يعطون من تعليم. كما وان التفاهم والتحدث الى اناس من هذا المستوى اسهل من التحدث الى اولاد صغار ممن اجبروا على الاستماع للدرس سواء اكان ذلك طوعاً ام اكراهاً؟».

«ولقد قابلت صديقي الحميم، الدكتور كرافورد» اخبر فرانكلين زوجته. «وهل قلت لك يا سارة انه قد حصل الآن على شهادة الدكتوراه، لقد وافق على التعاون معي في كتابة الكتاب المدرسي الذي افكر في اصداره؟».

«انه لطف منه ان يقبل التعاون معك، يا حبيبي. هل تعتقد انه قادر على المساعدة في المسألة التي احيلت لي؟».

فرك فرانكلين ذقنه وهو يفكر ملياً.

«يمكنني ان اسأله. انه شاب مستجيب».

تمكنت روزالي من السيطرة على نفسها وهي تكاد تنفجر من الضحك الساخر على عبارات الاطراء التي راح يكيلها ابوها.

«يمكننا دعوته لتناول الطعام معنا لنتحدث حول قضية الكتاب ثم نشير الى المسألة الرياضية في الوقت ذاته».

هنا قاطعت الكلام روزالي وهي تقول:

«بابا، هل لك ان تعلمني قبل وقت عن موعد زيارته لنا. يجب ان احضر كمية اضافية من الطعام، اليس كذلك؟».

«سأطلب اليه ذلك غداً يا عزيزتي».

قال لكنه سرعان ما ابتدرك:

«ذلك غير ممكن. لديّ ذلك المؤتمر في لندن». ثم نظر الى وجه ابنته. «يمكنك ان تدعيه انت، اليس كذلك؟ لقد سبق وقابلته».

قطبت روزالي وجهها. لو حدث ودعته فان عليها ان تتصرف بأدب، اليس كذلك؟ ورغم انها لم تحبذ الفكرة اساساً ليس امامها سوى ان توافق.

«اي مساء اقترحه عليه يا بابا؟».

«لنفكر. . . اليوم هو الاثنين» قال فرانكلين وهو ينظر الى زوجته «ما رأيك بمساء الاربعاء يا حبيبتي؟».

اخذت سارة تبحث في دفترها التقويمي الصغير. «رائع. لدي الفراغ في ذلك الوقت. سيكون الخميس موعد اجتماع مجلس الجامعة الاكاديمي يجب ان احضره. اذن سنحدد الاربعاء، هل الموعد يناسبك يا روزالي؟».

احنت ابنتها رأسها موافقة وراحت في الحال تفكر حول وجبة الطعام التي يجب تحضيرها. يجب ان تذهب الى السوق وقت الغداء في اليوم التالي، وتهيء الطعام في المساء وتضعه في الفرن صباح الاربعاء يجب ان تتذكر تثبيت النابض المؤقت لفرن الطباخ حتى يعمل في الوقت المناسب. ثم نهض الثلاثة عن مائدة الطعام.

«اتركيه يا عزيزتي» قالت امها بصوت منخفض «سأرتب ذلك انا بعد قليل».

لكن روزالي ابتسمت لقول امها هذا. لقد اعتادت ان تسمع ذلك دائماً منها. فاستمرت في تنظيف المائدة وترتيب الأواني حتى اعادت كل شيء الى مكانه. انها تعلم الحقيقة وهي ان امها تتوقع منها القيام بذلك. لم تحلم في يوم من الأيام ان تترك المائدة بوضعها. لأن اباها وامها سيغلقان على نفسيهما في غرفة الدراسة لساعات طويلة يتحدثان عن عملهما، حتى اذا ما خرجا من الغرفة، يكونان قد نسيا كل شيء عن المائدة والأواني. لقد قضت روزالي المساء تعمل في غرفتها، تهيء ملاحظاتها لمحاضرات اليوم التالي.

التقت بالدكتور كرافورد في رواق الكلية بعد ظهر اليوم التالي. اراد تجاهلها لكنها جمعت بعضاً من الشجاعة ونادته باسمه. توقف فجأة ونظر اليها بشيء من العصبية، حتى ظنت لبرهة بأنه لم يستطع تذكرها، ترددت وهي تحاول ان تضع كلماتها حول الدعوة باسلوب يجنبها اي مسؤولية عنها. لكنه قال باقتضاب:

«نعم انسة بارهام؟».

ارتدت بصورة غير ارادية من مظهر العداء البادي في عينيه. هل هو فعلاً يكرهها بهذه الدرجة؟

«اني. . . اني. . . قد طلب مني ان ادعوك الى العشاء مساء الغد».

يبدو انه قد فوجيء بهذا النوع من الكلام:

«انا؟. لا يمكنني ذلك، شكراً. لا اريد ان اسبب ازعاجاً لوالدتك».

«اعتقد انه يريد ان يتحدث معك حول الكتاب، بينما تريد امي طلب مساعدتك ايضاً. لقد اعطته مسألة رياضية صعبة لا تستطيع حلها». قالت وهي تمنحه ابتسامة فيها مزيج من المرارة والتردد.

«لذلك فكأنهم يطلبون منك ان تغني لهم مقابل عشائك».

وهنا بدأت ابتسامة تدب الى وجهه لتجعد ملامحه، لولا انه سارع لتمالك نفسه، فمنع ولادتها.

«في اي حال، لن تزعج والدتي. انني الشخص الذي يطبخ وجبات الطعام في البيت».

«اهكذا الأمر».

قال وقد ضيق من فتحتي عينيه، فشجعتها تعابيره على السيطرة في حديثها معه.

«لا حاجة بك ان تنظر الي هكذا يا دكتور كرافورد. لم يعرف عني انني سبق وسممت ضيفاً حتى الآن. حتى لو كان ضيفاً غير مرغوب به. لكنك لا تعلم، فقد اعمل استثناء فيك».

هنا اضطر لأن يضحك.

«حسناً يا آنسة بارهام، لقد غلبتني. بسبب تلميحك الواضح انك لا تريدينني، فقد قررت ان اغامر بالقبول. قد اكون صاحب قيمة بالنسبة لوالدك في الوقت الراهن، اكثر من ان تجعلك تحاولين التخلص مني، رغم كرهك لي».

«لو انني اكرهك فعلاً فليس لدي شك ان الشعور متبادل؟».

كان ذلك سؤالاً لم يحاول الاجابة عليه. وبينما هم بمواصلة طريقه قال من خلف كتفه.

«اي وقت يجب ان اصل؟».

«اي وقت بعد ان تنتهي صفوف الدراسة».

ذهبت روزالي الى مكتب ابيها كالعادة بعد ظهر اليوم التالي لتنتظره لمرافقتها الى البيت. لقد جلست هذه المرة باعتدال وهدوء في زاوية الغرفة محاولة ان تجعل نفسها اقل ملاحظة قدر الامكان. كانت تتصفح مجلة تعليمية قد استعارتها من مكتبة الكلية حينما انفتح الباب ودخل منها ادريان كرافورد. نظر في الغرفة، لم يلحظها، وبدا عليه التعجب وأدار نفسه ليخرج.

«مرحباً» قالت بصوت خافت «هل تبحث عن احد؟».

قفز في مكانه ثم قطب وجهه. هل فكر انها اختفت عنه عمداً؟.

«نعم، انت. ان والدك مشغول في اجتماع رؤساء الأقسام. لقد ارسل يبلغني ان اخذك الى البيت».

ان نبرة صوته تدل بعدم رغبته الاستجابة الى التبليغ. فالتقطت حقيبتها المكتبية وادخلت مجلتها فيها. وبعدم الرغبة نفسها التي ابداها نزلت المدرج المؤدي الى الباب الخارجي وهو يسير بجانبها. لم ينطق بكلمة اخرى اذ لن يستطيع ان يعبر عن كرهه لها باكثر مما فعله قبل قليل. فتح باب السيارة واشار انها يجب ان تدخل ايضاً. رمى نفسه في مقعده وحرك السيارة الى خارج الموقف الخاص بالكلية. وكان يبدو عليه انه على عجلة من امره.

«سأمر اولاً على شقتي لاحضر بعض الأوراق التي يريدها ابوك» قال بكلمات مختصرة «لن يأخذ ذلك وقتاً طويلاً».

راحت روزالي تفكر بشيء يكسر الصمت الذي ران خلال المسيرة، فقالت اول شيء جال في فكرها:

«هل انت متزوج يا دكتور كرافورد؟».

كانت نظرته اليها كالضربة الحادة بينما كانت نبرة صوته اشبه بالتوبيخ الحاد.

«لو كنت كذلك، فهل يعقل ان اعيش لوحدي في غرفتين».

«نعم ذلك ممكن» قالت ببرود. «قد تكون لديك زوجة واطفال في مكان اخر. ان ذلك ليس غير متوقع من رجل بعمرك».

«انك تجعلينني احس وكأنني كبير السن. اؤكد لك لو ان لدي زوجة فان مكانها لا بد ان يكون هنا بجانبي».

سكت لبرهة من الزمن، ثم انحنت شفتاه بابتسامة خالية من روح الفكاهة.

«ولكن ليس هناك خطر من ذلك. انني قانع بحالي، كأعزب منعزل اعيش حياة على طريقتي الخاصة».

لم تستطع الا ان تستمر في تحققها:

«الم تكن قد وقعت في الحب في يوم ما؟».

جاء جوابه ارتجالياً وكانت هذه الاشياء غير ذات اهمية.

«كانت هناك فتاة ما، لكنها فضلت شخصاً اخر».

كانت نظرته اليها كأنها لسعة من صفعة حادة تصيب وجهها وتابع:

«لن تستطيع امرأة ان تخترق حاجزي مرة اخرى. انني محصن الآن ضد المرأة».

ابتسمت وحاولت ان تستفزه:

«لنترك الموضوع عند هذا الحد، هل انت موافق؟».

اوقف السيارة امام بيت صغير نصف منعزل يقع في شارع فرعي هادىء. تعجبت روزالي من الموقع والمكان:

«هل انت تعيش هنا؟ هل ان جميع البيت لك؟».

«كلا، فانني استأجر الطابق الأعلى من البيت المؤثث. غرفتان ومطبخ وغرفة الحمام».

نزل من السيارة وبدأ يمشي باتجاه البيت، انزلت روزالي زجاج باب السيارة ونادت عليه:

«هل يمكن ان آتي؟».

تردد في الاجابة عليها وبعد لحظات قال مضطراً:

«حسناً... لا مانع اذا كنت تريدين ذلك، لكنني لن اتأخر عليك، اذ سآتي في الحال».

لكنها لم تنثن عن ذلك، حيث اسرعت تركض وراءه الى باب البيت. فتح الباب بمفتاحه وجعلها تمر امامه الى صالة البيت ثم صعدت السلم.

«اتذكر، ان كل شيء في جلبة وفوضى في مكاني، وذلك لانني لم اكن اتوقع زيارة احد لي».

لقد كان صادقاً في ذلك. فان غرفته تضج باكداس الكتب والمجلات والأوراق. واواني الفطور ماثلة على المائدة غير مغسولة

حيث تركها على عجل هذا الصباح. يعكس جو البيت شعوراً بالانقباض والضيق وكأن الهواء النقي قد منع من الداخل لعدة اسابيع مضت.

«لقد انذرتك بذلك».

قال عندما لاحظ تعابيرها. هزت كتفيها بعدم اكتراث.

«انني لن ادينك على ذلك. فقط انه يوقظ نزعاتي الأنثوية ويجعلني اريد ان ابدأ بالعمل».

«انك لن تعملي مثل هذه الاشياء».

قال بصوت تحذيري، لكنه سرعان ما خفف من صوته بأول علامة من انفتاح المزاج امامها.

«احب هذه الفوضى الخاصة بي. لا اريد أي شيء يغير في ذلك. لن اسمح ليد انثوية ان تمسه. لا استطيع ان افكر في جو مرتب. ان ذلك يخنقني ويشل فكري».

ابتسم احدهما للآخر لأول مرة واحست بشاعرية غريبة في اعماقها. ادارت نفسها بسرعة ومشت الى منضدة صغيرة وقد كدس فوقها عدداً كبيراً من الكتب والأوراق وقد اختفت جزئياً بين هذه الكتب صورة موضوعة باطار فضي. التقطت روزالي الصورة وراحت تنظر اليها بينما كان هو يبحث عن الاوراق المفقودة. ثم وجد الاوراق واخذ ينتظرها لتلحق به نحو الباب.

«من تكون هذه السيدة، يا دكتور كرافورد؟ امك؟». هز رأسه بالتأييد.

«انك تبدو اشبه بها» قالت وراحت تقارن بين معالمها.

«النظرة نفسها في العينين. الأنف المستقيم نفسه وعظام الوجنتين العالية نفسها...».

وبينما كان يبدي اهتماماً بحديثها اخذ يفقد صبره في الانتظار:

«بعد ان اكملت تحليل تقاطيع وجهي هل لك من فضلك اعادة الصورة الى المكان الذي كانت فيه، حتى نذهب».

لكنها لا زالت تنظر بامعان في الصورة:

«كيف شكلها . . . امك؟».

مشى في عرض الغرفة ونظر عبر كتفها:

«كما تربنها انها قصيرة مملوءة الجسم، طيبة وكثيرة الابتسام. غير انانية وام حنون».

«اين تعيش؟».

«في بيت صغير في مدلتن ان تيسدل في محافظة دورهام. انها ارملة، تعيش لوحدها».

اخذ الصورة منها ووضعها في مكانها على المنضدة. دفع الكتب والأوراق الى جانب ثم وضعها في مكان اكثر بروزاً.

«لقد تعلمت لكنها لم تكن من المهتمات بالثقافة. لماذا يبدو عليك هذا الاهتمام؟ فانك لن تقابليها. انت من طبقة بعيدة جداً عن التطابق مع محيطها. في اي حال، انها ليست من نموذجك».

«اهي كذلك؟».

قالت بصوت ينم عن خيبة امل وهي تسير نحو الباب. لم تستطع السيطرة، على ارتعاشة مرت على فمها.

«ما بك؟ هل قلت شيئاً خطأ؟».

بدت ابتساماتها ضعيفة باهتة:

«خطأ؟ اه. . . كيف يمكن لشخص بهذه الدرجة من الذكاء ان يقول اي شيء خطأ؟».

رماها بنظرة جافة وهو يرجع الى الوراء قليلاً ليترك لها المجال وهي تنزل درجات السلم امامه. ركبا السيارة فتحرك من الرصيف نحو الشارع.

«انت تعلمين انني لم ادعك لدخول البيت. كان بامكانك البقاء في السيارة. اذا كان نمط حياتي قد ازعجك، فيجب ان تلومي نفسك، لأنك طلبت ان تريه».

«ليس ذلك ابداً. لكنك لن تفهم لو اخبرتك».

«الا يمكنني ذلك؟ جربيني؟».

«كلا، شكراً. انني لا اثق بالسفن المارة في الليل، اذ هكذا اعتبرك».

«انك بسن صغيرة جداً بالنسبة لدرجة الامتعاض والمرارة التي تبدينها».

لكنها دابت على موقفها وقد هزت رأسها كمن خبر الحياة طويلاً. وبعد صمت قصير، قال:

«لا يمكننا ان نتبارز هكذا طوال المساء. هل نعلن الهدنة، وقف اطلاق النار، خلال وجودي كضيف لدى والديك؟ يمكننا ان نعود الى المبارزة بعد انتهاء المساء ان كان ذلك هو اتجاهك».

احنت رأسها باشارة الموافقة وابتسمت ثم اخلدا الى السكوت. بعد قليل سألته وهي تضحك:

«هل اخبرت عني لدى رئيس قسمي، ام بعد؟».

«كلا، لا ازال افكر في ذلك».

ادارت رأسها وحملقت في وجهه:

«انك لن تفعل ذلك؟ ام ستفعله؟ لست جاداً في ما تقول؟».

«انني جاد تماماً».

«ولكن لماذا؟».

«لماذا؟ انظري الى المسألة هكذا. كنت في غرفة رئيس القسم تتصرفين بوقاحة صارخة. لنفرض ان رئيس الكلية قد دخل الى الغرفة؟».

«لكنني لم اكن اقوم بعمل خاطئ».

«الم تكوني كذلك؟ الوضع الذي تجلسين فيه بحد ذاته يشكل صلافة واضحة، اضافة الى حقيقة كونك كنت تقرأين بشيء اخذته عن الطاولة وقد يكون سرياً».

«لكنها غرفة ابي».

«ذلك لن يغير شيئاً».

«ولكنني كنت في ذلك المكان لمرات عديدة في الماضي وقمت بأشياء كثيرة من الحماقة».

«وفي تلك الأوقات كنت ابنته فقط، وقد اعتبر هو ذلك اعتيادياً ان يتحمل حماقتك تلك. الآن انك واحدة من هيئة الكلية، الاختلاف كبير».

انذهلت من حديثه. ماذا ستقول لتجعله يفهم وجهة نظرها؟ فسألته بصوت ثقيل،

«وهل سيختلف الأمر لو قلت ارجو المعذرة، وان ذلك لن يحدث مرة اخرى؟ كما وان ذلك اليوم كان يومي الأول».

لقد مر وقت غير قليل قبل ان يفتح فمه. نظرت اليه وهي تفكر ما اذا كان يسمع ما تقوله ام لا. ثم تراءى لها انها لمحت تلطفاً خفيفاً في ملامح وجهه فارتفعت معنوياتها.

«سأفكر في ذلك».

قال باقتضاب.

بدأت عيناها تميزان اسماء الشوارع التي تمر بها السيارة، فعلمت انها لم تعد بعيدة عن بيتها. وحينما اقتربا من البيت قال لها:

«علاوة على ذلك فانت لم تعطني اسمك، هل تذكرين؟». نظرت اليه بعينين تعبران عن الامتنان ورأت انه بدأ يبتسم. تبعها الى داخل البيت:

«هذا هو بهو الاستقبال» قالت وقد اشارت اليه ان يجلس «يمكنك ان تنتظر هناك لحين قدوم والدي».

اتجهت هي مباشرة الى غرفة المطبخ نظرت الى قطعة اللحم الكبيرة المحاطة بالبطاطا في فرن المطبخ بموجب توقيت ثبته قبل خروجها. وضعت فطيرة التفاح التي كانت قد عملتها في السابق على الرف امام قالب الشواء، ثم اخرجت علبة القشدة من الثلاجة وبينما افرغت محتوى العلبة في الوعاء الزجاجي امامها، فوجئت بعيني الدكتور كرافورد تنظران اليها باعجاب.

«ايتها الآنسة! رائحة ومنظر طعامك جيدان. لا شك انني لا استطيع طهو طعام احسن منه».

«هل انت تطبخ يا دكتور كرافورد؟ اني استغرب قولك، اذ كيف لي ان اصدق ان عالماً مثلك يمكنه ان يقوم ايضاً باعمال دنيوية اعتيادية مثل الطبخ».

«هكذا؟ اذن كيف آكل لو لم اتمكن من القيام بذلك. ليس لدي مدبرة لبيتي كما وانني بكل تأكيد غير مستعد لاستخدام طباخ حتى لو كنت قادرا على دفع اجرته».

اسرعت نحو غرفة الطعام وتركته في مكانه فتحت شرشف المائدة المكوي لتوه وفرشته على المائدة،

«لا شك ان لديك من يقوم بأعمال التنظيف».

لقد تبعها من المطبخ.

«ابداً! لقد قلت لك لن اقبل بامرأة في بيتي. انهن كثيراً ما يتدخلن بأشياء لا تعنيهن» قال وهو يبتسم. «ويردن دوماً تنظيم فوضى البيت».

«من يؤدي لك غسيلك وكي ملابسك؟».

«آه، انني اسمح لمالكة البيت ان تقوم بذلك مع شرط ثابت ان تترك الملابس المغسولة في منتصف السلم وان لا تدخل غرفتي».

نظرت اليه بعد ان توقفت عن تنظيم الأواني على المائدة:

«اكيد انك لا تعني كل هذا الذي تقوله».

«انني قادر على ذلك وانفذه بالفعل. اترين كيف حصلت على امتيازات، حيث سمحت لك بدس انفك في شقتي بغض النظر عن شخصيتك... ال.. ل.. انيقة».

نظرت اليه بتعجب:

«ولكن ما الذي جعلك هكذا معاد للنساء؟ اي اذى مسبب لك مما جعلك لا تتحملهن في حياتك الخاصة».

«لا اذى ابداً سوى انهن مثار للقرف ويلهين عن اشياء مهمة في

الحياة».

اتكأ على اطار الباب ونظر اليها من الأعلى الى الأسفل، «وكلما كن فاتنات في جمالهن كلما سببن المزيد من الالهاء. لذلك فانني اجعلهن بعيدات عن حياتي. لنغير الموضوع».

تركته بعد ان رمته بعبارة «اسمح لي لحظة!» راحت لتحية والديها:

«ضيفكما موجود في غرفة الطعام، انه مزعج واستفزازي».

ضحكا من تعليقها، وعندما ظهر امامهما صافحا يده الممدودة لهما. ابتسمت سارة ابتسامتها المعهودة:

«كيف حالك يا دكتور كرافورد. لشد ما سررت بأن لديك الوقت لتأتي. هل قالت لك ابنتي عن المسألة الصعبة التي اتاني بها احد طلابي؟».

«رويدك يا عزيزتي» قال فرانكلين وهو يضحك، «دعي الدكتور كرافورد يتناول طعامه اولاً، والا فانني اتوقع ان يترك الطعام بارداً على المائدة».

ايدت روزالي والدها بامتنان حول ذلك.

«تناولا طعامكما؟ فانه الآن جاهز للتقديم».

وبينما ذهب والداها، الى الطابق الثاني لاعادة ترتيب نفسيهما لبست هي قفازات الفرن وحملت الأطباق الى غرفة الطعام. وقف الدكتور كرافورد ويديه في جيبيه، يراقب فعالية روزالي بينما كانت تروح وتأتي حاملة اطباق الطعام. لقد بدا على وجهه شيء من الذهول والتعجب.

«هل هناك اي شيء يمكنني عمله لاساعدك يا انسة بارهام؟ احس وكأنني كالأحمق متسمر هنا بينما تتحركين انت كلولب وكأن ثوراً يلاحقك».

ضحكت واخذت تبطيء في حركتها:

«هل تبدو حركتي مضحكة لهذه الدرجة؟ كلا شكراً لا احتاج

مساعدة» قالت جواباً على سؤاله. «لقد اعتدت على هذه الحركة».

«اوه...».

وخلال تناول طعام العشاء كان فرانكلين يمنع زوجته باستمرار عن الحديث الخاص بالعلم والعلوم.

«ان ضيفنا يتحدث بلغتنا. فهو الأخر ليس مثل ابنتنا. مما جعل الأمر ثلاثة مقابل واحد ضدها. ليس من العدل لروزالي ان نعزلها هكذا، اليس كذلك يا عزيزتي؟».

نظر الدكتور كرافورد نظرة تساؤلية الى روزالي، فقد لاحظ بلا شك نفورها المتزايد بينما استمر والدها يتحدث:

«لو انها اتبعت خطواتنا واختارت الرياضيات لمستقبلها لكان في امكانها الآن الانسجام مع موجتنا وشاركت بحديثنا».

انفعلت ابنته قليلاً ثم قالت بابتسامة ممزوجة بشيء من الاستياء:

«بالطبع، يا دكتور كرافورد، فان امي لا تريدني بصورة حقيقية، اليس كذلك يا ماما؟».

«اه، لا يمكنني ان اقول ذلك. عندما علمت انك قادمة الى الحياة، احسست بالاحباط في بادىء الأمر ولكن سرعان ما تغلبت على ذلك».

«ولكنك فعلاً كنت تريدين الحصول على ولد».

قالت روزالي مصرة وهي تشعر من الواجب حصولها على اعتراف من امها «ولد يتبع خطواتك وخطوات بابا».

تعثرت عينا سارة فوق وجه ابنتها ونظرت نظرات استنجاد الى زوجها. بينما راح ادريان كرافورد ينظر بوجوم بين الأم وابنتها. وكانت تعابير وجهه تنم عن عدم الراحة من مسار النقاش. ثم تركزت نظراته على ملامح روزالي التي اغلقت عينيها حتى لا يلاحظ الألم فيهما.

«روزالي!» تفوه والدها بصوت فيه بعض الحزم، وقد اعتدل بكرسيه الى الوراء ممتلئاً بالطعام الذي اعدته ابنته. «ان روزالي كثيراً

ما تحاول جلب الاهتمام لنفسها. فاذا لم يكن ذلك عن طريق ما تقوله والذي يصل حد الاساءة في بعض الاحيان، فيكون ذلك في طريقة ارتدائها الملابس ايضاً. انظروا الى تشكيلة الالوان التي ترتديها الآن».

نظر ادريان الى بدلتها.

«اتعني الألوان الحمراء متضاربة مع بعضها؟ انني اجدها مناسبة وجذابة جداً». استمرت عيناه تتقدان وتؤ يدان: «لا يمكنني ان اجد اية غضاضة في ذلك؟».

نظر فرانكلين الى ابنته:

«روزالي! لديك الآن معجب».

عضت على شفتها بسبب التلميح الذي وراء كلمات ابيها وبدأت تضع الأواني الفارغة واحداً فوق الآخر وتدفعها خلال فتحة تصل بالمطبخ. لا بد ان تعطي يديها شيئاً لتعمله والا فانها ستنفجر في البكاء.

«اتركيها يا عزيزتي» قالت امها «وسأغسلها انا بعد ذلك».

لم تجب روزالي واستمرت في تنظيف المائدة بينما دعا والداها ضيفها ليتبعهما.

«سنتحدث في غرفة الدراسة. المكان الذي نعمل عادة فيه».

تباطأ الدكتور كرافورد لدقائق حيث قالت روزالي وهي تبتسم اليه بتحد:

«ان الاطراء يجديك نفعاً يا دكتور كرافورد وخاصة اذا اتصف بالزيف».

اجابها بهدوء:

«اذا كان ذلك هو الاسلوب الذي تعاملين به الراغبين ان يكونوا حلفاء لك، فسيكون غريباً وجود اي صديق عندك في هذا العالم».

«انني لا احتاج الى حلفاء. لقد عشت بدون الحاجة اليهم منذ ولادتي حتى الآن. لقد تعلمت ان امشي لوحدي».

«هل هذا صحيح؟»، اصبحت عيناه اكثر صلابة الآن. «في هذه الحالة سأقول لك الحقيقة التي يبدو انك تريدين معرفتها، اعتقد ان اختيارك للألوان اختيار وحشي».

قال وهو يخرج من الغرفة.

امسكت شفتاها بالرد الشرير الذي كانت ستطلقه فتسمرت! في اي حال انه ضيف. ملأت اناء الغسيل بالماء الحار وبدأت العمل في تنظيف الصحون والأواني. وبينما كانت في منتصف اكمال عملها، ويداها تغوصان في فقاعات الصابون سمعت صوتاً من خلفها فالتفتت. كان ادريان كرافورد يقف على الباب. نظر حول المطبخ وبدون ان ينبس ببنت شفة تناول منشفة وراح يجفف الصحون والأواني المغسولة.

«لا حاجة يا دكتور كرافورد فقد اعتدت انا على ذلك».

«مثل ما قلت عندما عرضت ان اساعدك، انني لم اسألك، لذا فلا يمكنك ان ترفضي» عملا بصمت لفترة من الوقت، ثم بادر بالسؤال:

«لماذا تقومين انت بكل هذا؟ لقد سمعت امك تقول انها ستعمل ذلك بعدئذ».

«ذلك ما اعتادت ان تقول، انها لن تعمله».

«ربما لانك لم تمنحيها الفرصة للقيام به؟».

«انني لا اعيش في اوهام يا دكتور كرافورد. اذا لم اعمل ذلك الآن فان الأشياء تبقى هنا على وضعها غير مغسولة حتى صباح اليوم التالي. واذا لم احضر وجبة طعام المساء مقدماً، واثبت الطباخ للتوقيت ذاتياً فلن يكون عندنا طعام عند عودتنا الى البيت».

لكنه استمر في استفساراته:

«الا تظنين ان والدتك ربما اعتقدت انها اخرجت من مطبخها عنوة؟».

لم يكن مجرى النقاش مسراً لروزالي كما وان اسئلته لم تدعها

تنصرف الى عملها.

«الا تعتقدين ان جو البيت الخالي سببه يعود اليك وانك قد عودتهما على استخدامك مدبرة بيت بدون اجر؟».

اجابته بابتسامة ثابتة:

«ان قولك هذا اشبه بالعبارة الشهيرة، من جاء اولاً الكتكوت ام البيضة! مثل هذا السؤال لا استطيع الاجابة عليه».

«ماذا سيحدث عندما تخرجين انت في المساء. من سيطعمهما؟».

«اضع وجبة الطعام لهما في الفرن قبل ان اخرج في الصباح. فتكون مهيأة للتناول عند عودتهما للبيت».

«ثم يقوما بغسل الصحون؟».

«كلا. انا اقوم بذلك قبل ان اذهب الى فراشي».

قطب جبينه مرة اخرى.

«لا تصدقني؟ أؤكد لك انني اقول الحقيقة. لدي ام في غاية الذكاء، لامعة. فعندما اكتشفت انني لن احذو حذوها قررت ان تغسل يديها مني. ومنذ ذلك الحين كانا ينظران الي باعتباري فاشلة اكاديمياً».

«ولكن عندك درجة جامعية ايضاً؟».

«نعم في علم الاجتماع. ولكن يجب الهمس بها لأنها كلمة قذرة في العائلة. انها غير علمية كما ترى وعليه فانها اقل من التراب».

لم تجرؤ على النظر اليه لانها تعلم انه لو رأى عينيها فانه سيكون قد رأى ما يدور في قلبها. وبعد برهة سألته:

«اين والدي؟».

«انهما في غرفة الدراسة مستغرقين في المسألة الرياضية. اقترحت عليهما بداية افتراضية وراحا يتبعان ذلك. لذا فقد تركتهما. حتى انني لا اعتقد انهما لاحظا خروجي».

«كلا، انني متأكدة انهما لن يلاحظا. فهما لا يلاحظان خارجهما عندما يكونان مع بعضهما. انهما يحبان احدهما الآخر الى درجة انهما

عزلاني عنهما تماماً».

توقف عن تجفيف الاناء الذي كان بيديه وراح يتفحص وجهها بتأثر شديد.

«انت تعلمين انك تنصبين مكيدة لي!».

«انه اطراء فارغ. لم اظن انك حتى لاحظت وجودي».

«انني الاحظك جيداً، ان ذلك مثل ما يلاحظ المرء البعوضة الصغيرة. حيث في النهاية تجعلك فاقدة الاعصاب، تودين ان توجهي اليها ضربة ساحقة».

نظرت اليه مضطرة وضحكت. وضحك هو معها. لقد لمع بريق من الدفء العاطفي في علاقتهما الهشة المتأرجحة.

«قل لي يا دكتور كرافورد، لماذا تظن اني اكيد لك، ان انوثتي تستصرخ جواباً».

«اذن يمكنك ان تقولي لها ان تصمت! ان ما اتحدث عنه ليست انوثتك. انها لا تعني اي شيء. لا اهمية لها عندي».

اصابها الخجل فعضت شفتها. لقد صفعها مرة اخرى. لقد اعتادت على ذلك من عائلتها ولكن ما يبدو محيراً لها شدة الاذى عندما اتت الصفعة من هذا الرجل. نظر الى لوح الاواني الفارغ:

«هل هذا كل شيء؟».

«نعم. شكرا لمساعدتك».

علق المنشفة وانحنى على باب دولاب الاواني وهو يرقبها تمسح مغسلة الاواني:

«انك تكيدين لي بشخصيتك» قال لها «وذلك بالنسبة لسنك فان لديك اكبر استعداد للتحدي وكيف تستغرقين في رثاء الذات. حالة الباكي على النفس هذه التي تغرقين نفسك فيها، لماذا لا تقلعين عن ذلك؟».

تحولت اليه وقد اخذ الغضب يغلي في اعصابها:

«لم يدعك احد الى هنا لتقوم بدور طبيبي النفساني».

هز كتفه ليعبر عن عدم اكتراثه بقولها:

«اذا كان رأيي بك لا يعجبك، هناك شيء وحيد يمكنك القيام به، يمكنك دائماً تسفي من الخلف ومشاهدتي وانا اغرق. انني سفينة وانا عابر في الليل، كلماتك هذه، تذكري».

نادت امها:

«دكتور كرافورد، اين انت نعتقد انا حللنا المسألة والفضل لك».

«انني قادم يا سيدة بارهام اذ انني في المطبخ اراقب ابنتك وهي تعمل». انخفض صوته وهو يقول: «يبدو انني لم اقم بأي عمل اخر منذ وصولي الى هنا».

كانت روزالي في غرفة نومها تعمل على تهيئة ملاحظات محاضرتها عندما رن التليفون سمعت اباها وهو يرد، ثم نادى من قرب السلم:

«روزالي نداء لك، انه نيكول».

«شكراً بابا». عندما نزلت لتتاول التليفون كانت غرفة الدراسة مفتوحة جزئياً وسمعت اباها يقول، «انه صديق روزالي، مدرس لغات في المدرسة التي تركتها مؤخراً، موضوعه لا يتناول حتى اللغات الحديثة فهو متخصص في اليونانية القديمة واللاتينية. انا شخصياً لا اتحمل هذا الشخص».

مرت عبر البهو واغلقت الباب بقوة ثم رفعت السماعة:

«نيكول! كم لطيف ان اسمع صوتك، اموري جيدة، شكراً. نعم، انه تغير كبير من الجو المزدحم في المدرسة. بالطبع، الطلبة اكبر سناً وهم يستفسرون عن كل شيء، وهذا شيء افضله هنا. انهم لا يتهيبون من المناقشة وابداء الرأي، على عكس طلبة المدرسة».

فتحت باب غرفة الدراسة، ومرت سارة الى داخل المطبخ.

«افتقدك؟ بالطبع، انني افتقدك. كلا، ليس لدي صديق آخر. واحد يكفي كما تعلم!».

ضحكت ونظرت من طرف عينيها الى الوراء، فهي تعلم ان

صوتها يمكن ان يسمع الى غرفة الدراسة.

«متى يمكنني ان اراك يا عزيزي؟ احس بوهن في نفسي في الفترة الأخيرة. انني احتاج لمن يستمع الي ويقدرني، نعم مساء الغد؟ نعم انني متفرغة. شكراً لله، مع السلامة، والى اللقاء...».

تبعت روزالي امها الى غرفة الدراسة:

«الجميع يتناول القهوة؟».

تحدث ادريان بهدوء حيث القى عليها بدوره نظرة متفحصة جعلتها ترتبك قليلاً ضد ارادتها.

«نعم يا عزيزتي اربعة اكواب من القهوة». قالت الأم.

هيأت روزالي القهوة وحملت الصينية الى غرفة الدراسة:

«سأتناول قهوتي في الطابق الأعلى في غرفتي».

قالت وهي تنظر الى رأس ادريان المنحني.

«حسناً يا عزيزتي». ابتسم اليها والدها بفكر شارد. «ذلك احسن لاننا نتكلم هنا في عمل لا تفهمين منه كلمة واحدة».

هنا ارتفع نظر ادريان وبلحظة شاردة نظرت عيناه الجادتان نحوها. كأن رسالة قد مرت بينهما لكنها كانت برموز لا تجد مفتاح حلها.

٢ - نصف ابتسامة لها!

عندما جاء نيكول في اليوم التالي كانت روزالي تلبس بدلة ملونة بالأصفر والأحمر والبنفسجي، ادارت نفسها من جانب الى اخر امام المرآة ورأت نفسها كيف تظهر في عيون الناس. الا تبدو مزخرفة اكثر مما يجب في هذه الألوان؟ هل هي تحاول جلب الانتباه كما ادعى والدها؟ قد اكون كذلك، قالت لنفسها، ولكن ثم ماذا؟ لن اعبأ.

مررت المشط على شعرها البني الفاتح فأحدث قرقعة خفيفة حينما التوت اطراف الشعر الى خصل ناعمة. وضعت بعض الظلال حول عينيها مما اضفى عمقاً للون عينيها البندقيتين.

رن جرس الباب، فراحت مسرعة تسابق درجات السلم لتستقبل نيكول وفتحت الباب على مصراعيه.

«اهلاً، يا عزيزي!». قالت ثم وقفت باضطراب.

«مرحباً آنسة بارهام... حبيبتي». كان ادريان واقفاً يبتسم بادب.

«اوه... بحق السماء... اني متأسفة، كنت اتوقع شخصاً اخر».

«ذلك ما ظننت، انه واضح من خيبة الأمل المرتسمة على وجهك».

نظر الى بدلتها وهو يخطو نحو قاعة البيت لكنه لم يقل شيئاً.

«هل جئت لترى والدي؟».

«ومن يكن غيره؟ بكل تأكيد لم آت لك. انني لا احلم ان اكون مفسداً لمتعة الآخرين».

«انني لا اعرف ما تعنيه».

رفع حاجبيه عالياً بحركة انفعالية ثم دخل الى غرفة الدراسة.

بعد ذلك بقليل جاء نيكول. اقتادته الى البهو وقد اخذها من ذراعها.

«حبيبتي!»، قال وهما يسيران ببطء، «ولقد مرت عدة ايام، انني افتقدك في المدرسة افتقاداً شديداً».

عانقها برقة. سحبت نفسها منه وهي تقول:

«دعنا نمشي في الحديقة ونتحدث يا نيكول. لدي الكثير اريد ان اقوله لك».

ذهبا الى الحديقة. كانت عطور الزهور الربيعية فواحة في هواء الحديقة. تنشقت روزالي بعمق، وقد وضعت يدها في يد نيكول، كانت تحس ان من الممكن ملاحظة جميع تحركاتها من داخل غرفة الدراسة المطلة على الحديقة. ان نيكول طويل القامة ورشيق الجسم. راحت روزالي تنظر الى الاعلى نحو وجهه الجميل ذي الطابع الانثوي.

«الا تسأل عني؟». قالت بغنج وقد بدا وجهها يطفح بالسعادة.

وضع يده تحت ذقنها وقال بنعومة:

«بالطبع يا حبيبتي! احس انني تائه بدونك. لقد كنت مستغرقاً بأفكاري».

«كيف يكون شكلها يا نيكول؟».

اربكه السؤال وارتسمت على وجهه سحنة المذنب. استمرت متعلقة بذراعه وهي تنظر الى الأعلى نحو وجهه:

«اعني الفتاة التي تحلم بها؟».

ربت على يدها بفكر شارد:

«انت تعرفينني جيداً يا حبيبتي. يمكنك قراءة افكاري. انها..

انها اسطورية الجمال».

«من هي؟».

قالت روزالي وقد جفلت باستغراب من تحقق صحة سؤالها.

«الفتاة التي اخذت مكانك في المدرسة».

«اوه. . .» قالت وقد سحبت ذراعها منه فأسرع ووضع ذراعه على خصرها وادارها نحوه لتنظر اليه.

«لا تكوني ضنينة يا حبيبتي، انت تعرفين انك الفتاة الوحيدة لي. في الواقع انها مرتبطة كما علمت عنها».

ابتسمت اليه:

«اذن فقد قمت بالاستفسار عنها؟».

«في الواقع. . . انا. .».

«نعم انت قمت بذلك». استدارا ثم استمرا في المشي والحديث نحو باب البيت:

«هل تلبس خاتم؟».

«كلا. . . ولكن. . .».

«اذن لا زال هناك امل لك».

«لا تكوني حمقاء يا روزالي».

قال وقد ادارها من كتفها وعانقها بقوة غير معهودة. ثم امسك يدها:

«انت الفتاة التي لي. . . وانت تعرفين ذلك».

«هل انا كذلك؟».

فكرت مع نفسها ثم ادارت نظرها نحو غرفة الدراسة في اللحظة التي كان بها ادريان قد اخفض عينيه من جهة الشباك.

هل انا الفتاة لنيكول فعلاً؟ انها غير متأكدة. انها غير متأكدة من اي شيء بعد الآن. بدا نيكول امامها وكأنه في حلم جميل.

وانها طويلة، وذات قوام ممشوق وشعر اسود ووجه جميل. لقد تخرجت بفرع الاقتصاد».

قال ثم سكت.

«لكنها ليست انت. . . اليس كذلك؟». سحبها نحوه.

وكأنه يمثل دوراً وكذلك انا، بهذا التفكير راح دماغها يفكر كادت الفكرة المذكورة تنفجر الى ما لا تحمد عقباه لولا انها قررت التوقف عن هذا المسار في فكرها. رأت ان تتخلص من تلك العيون الرقيبة لذا فقد اخذت يد نيكول وسحبته باتجاه البيت.

«لنذهب الى البهو» قالت له. «الوقت ممل في الخارج».

جلسا على الاريكة الضخمة وكانت روزالي باتجاه الزاوية:

«اذن فانك لم تفتقدني مطلقاً؟».

«الا تتوقفين عن هذا الكلام الفارغ فتعانقينني بصورة طبيعية؟».

كانا متوترين في اعصابهما، لكن شعور قوي طغى عليهما فأحست بمتعة فائقة لأنها ترى نفسها محبوبة فعلاً وانها محبوبة لنفسها فقط.

واحد ما يقدرني على الأقل».

الفكرة تأرجحت هكذا في ضميرها وعندما ابتعدا عن بعض لم يدر بخلدها السؤال ما اذا احبته بدورها هي ايضاً؟

استمعت الى نيكول كالعادة يتحدث اليها عن عمله وعن معاناته الخارجية وآرائه عن كل شيء يدور في العالم. وعندما اسرع الوقت بالانقضاء تذكرت انها لم تقل له كلمة واحدة عن عملها الجديد. اذ لا يبدو انه مهتم بذلك.

«روزالي؟»، سمعت صوت ابيها خارج البهو.

«انني آتية يا أبي».

«ما رأيك ببعض القهوة يا عزيزتي، ان والدتك على وشك القدوم».

سحبت يدها من نيكول وتركته وهي تتبادل بعض العبارات مع والدها تبعها نيكول الى المطبخ وجلس يراقب بينما راحت هي تهيء الصينية وضعت خمسة اكواب مع صحونها الصغيرة. لم يعرض نيكول ان يقدم مساعدة كما لا بد ان يفعل ادريان لو كان معها.

استمر في الحديث حول نفسه وقضاياه ووجدت افكارها تسرح بعيداً عن صوته الممل. ما هو رد فعل الدكتور كرافورد تجاه نيكول؟ ما هو رأيه في صديقها؟ لديها شعور انها تعرف ما سيقوله حول نيكول بعد ذهابه ولا شك ان قوله لن يكون استحساناً.

«خمسة اكواب يا حبيبتي؟».

سؤال نيكول اعادها الى الواقع مرة اخرى.

«لدى بابا ضيف زائر من الكلية يساعده في كتابة كتاب مدرسي. هو متخصص بالرياضيات بالطبع».

تذمر نيكول وهو يقول:

«اوه.. واحد اخر منهم؟».

وجدت روزالي نفسها في وضع غريب لأول مرة حيث تريد فيه الدفاع عن اناس يهاجمهم نيكول.

«اراهن انه ذو عقلية قديمة ومثقل بالمعلومات» قال نيكول «كما هو الحال في معظمهم. باستثناء والدك بالطبع يا حبيبتي».

«كلا، هو ليس كذلك».

قالت بصوت اكثر حدة مما كانت تريد ان تظهره، فنظر اليها باستغراب. «انه شاب وذو شخصية مسرة جداً. اذا اردت ان تعرفه».

لقد اصبحت مستاءة من نفسها. لماذا يجب عليها ان تقف في الدفاع عن رجل كان قد ازعجها هو الى حد لا يطاق والذي كان خشناً معها كلما حدث والتقيا. لقد التوت ابتسامة نيكول.

«فالأمر هكذا اذن، أليس كذلك؟».

«انني لا اعرف ما تقصده. انه ليس كذلك مطلقاً، اذا وجب ان تعرف فانني ارى اننا نثير اعصاب احدنا الآخر لم اتصور ان اثنين يمكن ان يصلاه. لقد تخاصمت معه خلال ثلاثة ايام اكثر مما تخاصمت مع فرد اخر طول حياتي».

«حسناً يا حلوتي. لا تنحني الى الوراء محاولة الانكار، والا سأحاول ان اصدق تلك الافكار الرديئة التي جاءت في رأسي».

ادارت نفسها اليه بغضب.

«لا تحاول ان تبرر افكارك المشتتة عن طريق اتهامي بأن لدي مثل هذه الافكار».

عليها ان تمارس سيطرة ارادية قوية وهي تحمل الصينية الى البهو. يجب ان توقف الرجفة في يديها والا ستنسكب القهوة في المكان.

ذهبت الى غرفة الدراسة وفتحت الباب «قهوة».

قالت وقبل ان يرفع الرجلان رأسيهما اغلقت الباب ثانية. عادت مرة اخرى الى المطبخ لتحضر بعض الطعام ورأت بارتياح ان نيكول لم يكن هناك. وضعت بعض الكعك والبسكويت على طبق وكمية من المعجنات المخبوزة على شكل اصابع صغيرة في طبق اخر وحملتهما الى البهو ثم جلست على الاريكة بجانب نيكول وصبت القهوة.

وعندما ظهر الآخرون في مدخل الباب، اخذ نيكول يدها. قدم والدها الرجلين بكلمات مختصرة. رمى الدكتور كرافورد نظرة متفحصة على نيكول وتراءى لروزالي انه قد اخذ فكرة قاسية عن نيكول. لكنها لن تهتم في اي حال بنتيجة تفحصه هذه. ادارت القهوة والطعام على الجميع وبينما هي تنحني لتعطي كرافورد كوبه تركزت عيناه على عينيها لبرهة. لقد كانت نظرته حاذقة ومتسائلة لدرجة انها ارتعشت خجلاً وادارت نفسها بانفعال. اي حق له ان يتصرف تجاهها هكذا؟ لم اطلب اليه ان يختبر لي الرجال من اصدقائي، قالت بصمت مع نفسها، وان يؤيد هذا او ذاك، مثل ما يحلو له.

كان الحديث مملاً. فروزالي تعرف ان اباها لا يحب نيكول وهو لا يكلف نفسه عناء اخفاء ذلك. فتحت الباب الأمامي وبعد لحظات دخلت سارة.

«مرحبا بكم جميعاً».

قالت واخذت عيناها تدوران في الغرفة. ووجدت زوجها

فابتسمت له ثم ادارت رأسها. وقد انتفض هو على قدميه في الحال.
«اسكبي لامك كوباً من القهوة يا روزالي. فسآخذه لها بنفسي».
اعطته القهوة فتركت الغرفة هي تعرف انه سعيد اذ تمكن من الافلات، فانه دائماً لا يرتاح من وجود نيكول.
«لا تسرع يا دكتور كرافورد» صاح فرانكلين. «خذ وقتك. سأتحدث قليلاً مع زوجتي». وعندما انغلق الباب وراءه وضع نيكول كوبه الخالي باعتناء على الصينية، وانحنى الى الخلف ثم وضع ذراعه حول روزالي وقال:
«واذن فانت واحد آخر من هؤلاء العلماء الفصيحين يا دكتور كرافورد؟».
حملقت روزالي في نيكول واغلقت عينيها بانتظار رد فعل الدكتور كرافورد العنيف. ولكن عندما فتحتها مرة اخرى رأت انه يبتسم. لقد مد ساقيه الطويلتين ودفع بيديه الى جيبي بنطلونه. وقال بكسل واضح:
«نعم، اجدك محقاً ان تسمينا هكذا». بدا وكأنه يتهيأ لأن يمتع نفسه. «لا شك ان ما يزعجكم انتم المتمسكين بالتقاليد والمهتمين كثيراً بالماضي، انت تدرس اللغة اللاتينية واليونانية القديمة على ما اعلم، هو اننا العلماء نسأل اسئلة بصورة دائمة».
يبدو ان نيكول فوجيء بذلك. طلقته الأولى اخطأت الهدف وجلبت رد فعل غير متوقع. حاول مرة اخرى.
«المشكلة انكم تميلون دائماً الى اختراع الأشياء الخطرة ثم لا تعرفون كيف تسيطرون على ما اخترعتموه».
«نعم سمعت بذلك كثيراً من قبل» قال الدكتور كرافورد وكأنه يخاطب طالب بطيء التعلم. «لكن ليس العلماء الذين يسيطرون على اختراعاتهم. فمعظم هذه الاختراعات، التي تسميها خطرة، تذهب الى ايدي السياسيين والعسكريين منهم حال ما تخرج من مرحلة التصميم. ولأنك حللت هذه الاختراعات الخطرة فانك

ستجد ان معظمها قد اخترعت لاغراض محددة ولاستعمالها في اوقات محددة. وبالطبع هناك نسبة معينة من العلماء يختارون العمل تحت التخصص العسكري ولكن بعض منهم يعملون بصفة بناءة وليست هدامة. في اي حال ذلك شأنهم واختيارهم. لا يمكنك الحكم على جميع العلماء بسبب قيام عدد قليل من زملائهم بالعمل بما يرونه جزءاً من قناعتهم».
ظل نيكول يفكر لبرهة من الوقت ثم جاء بمزيد من الانتقادات.
«ليس لدى العلماء احساساً بالمسؤولية».
«هذا ايضاً يأتي من الباب نفسه الذي جاء منه قولك الأول. كما واني سمعت بهذا القول ايضاً من قبل. ان مسؤولية العالم الأولية تقع في البحث عن الحقيقة العلمية. ولست اجد مبرراً هنا لأحاول ان اوضح لك ما عسى ان تكون عليه الحقيقة العلمية. ذلك لأنك وانا لا يمكننا التفاهم بلغة مشتركة تجعلني اتفاهم معك بصورة واضحة متماسكة حول الموضوع».
«بكلمات اخرى» انفجرت روزالي غاضبة، «انك تعني اننا على درجة من الجمود بحيث لا نفهم ما تتحدث عنه انت».
هز ادريان كرافورد كتفه بعدم اهتمام: «اذا اردت ان تضعي الموضوع هكذا فانني اقول نعم».
انفعل نيكول كثيراً فقال:
«ان هؤلاء الذين يسمون انفسهم علماء يفتقدون الاحساس والادب الثقافي».
«واني اعتبر هذه الصفات مميزات شخصية بحتة يمكن ان توجد لدى الكثيرين من الناس بغض النظر عن مهنتهم وعملهم».
«هناك شيء اخر بشأنكم ايها الرجال».
قال نيكول وقد صعد من عصبيته الآن.
«بسبب امكانية الخطورة في اختراعاتكم الميكانيكية الخادعة فانكم تعتقدون ان مجرد سحب الخيوط يجعل الآخرين يرقصون

لنفسكم».

ضحك ادريان من ذلك:

«ذلك، اعتبرها، وجهة نظر مأخوذة من القراءة المسرفة في الروايات العلمية الخيالية».

كاد نيكول يفقد اعصابه مرة اخرى بينما تعلم روزالي انه يحاول اخماد عصبيته:

«المتخصصون بالآداب من امثالنا» قال وقد سحبها اليه بحركة تملكية، «واعني نحن المثقفون مقارنة بكم انتم الذين لا تفهمون سوى التكنولوجيا تحاولون الحفاظ على القيم القديمة التي تقومون بتدميرها في الوقت نفسه. نحن نعمل ما في وسعنا للحفاظ على التقاليد».

«بكلمة اخرى» قال الدكتور كرافورد «ما تريدان قوله بمواقفكم ذات الاتجاه التأخري الرجعي انكم لستم فقط عجزتم عن تقديم اي مساهمة مادية لتطور وتقدم البشرية، وانما تقومون ايضاً بمنعها من التقدم. انتم متشبثوا الآداب ليس لديكم غير الكلام. نحن نعمل. انهم العلماء والمهندسون اي رجال التكنولوجيا اللذين تهزأ بهم واللذين بواسطة اختراعاتهم الخادعة، كما تسميها، جعلوا الحياة سهلة الى درجة لا تصدق لاكبر نسبة من سكان العالم».

نهض نيكول. لقد لاحظ انه قد نال النصيب الأسوأ من المناقشة.

لكن ادريان صمم على ان تكون اخر كلمة منطوقة من فمه. لقد وقف باسلوب بطيء كسول ووضع يديه خلفه:

«ان رأيي المتواضع هو انه لا احد، وانا اعني لا احد، يمكنه ان يسمي نفسه مثقفاً حقيقياً بدون بعض المعرفة الأساسية الأولية في العلم. فالعالم يتعامل مع المستقبل كما يتعامل مع الحاضر. مع شديد احترامي فإن اللاتينية واليونانية القديمة تقودان بصورة قاطعة الى الماضي».

قال نيكول عبارة «طاب مساؤك» بصورة عصبية واتجه نحو الباب وقد سحب روزالي معه.

«تعالي الى الخارج وقولي مع السلامة يا روزالي. يجب ان اعود».

«اهكذا مبكراً يا نيكول؟».

«ليس هناك ما يدعو للبقاء مدة اطول سأتصل بك تلفونياً قريباً».

ثم غادر.

عادت ساخطة لأبعد الحدود واتجهت الى البهو حيث بدأت تجمع الأواني على الصينية. كان الدكتور كرافورد يراقبها لبضعة دقائق.

«وآسف ان اكون السبب في مغادرة صديقك بهذا الوقت المبكر».

«من الواضح انك عملت ذلك عمداً او قصداً».

لكن ضحكته عبرت عن تنصله من اي مسؤولية:

«انا، عملت ذلك؟ اه، نعم فانني احب ذلك. لكنه هو الذي اثار الموضوع، هو الذي بدأ يهاجمني وليس العكس».

انها تعلم ان ذلك هو الصحيح، ولكن لا شيء يجعلها تعترف به بصراحة.

«انني لم الاحظك تشتركين في الحديث وتقفين جانب الدفاع عن صديقك وتناقشين الى جانبه. هل ذلك لأنك كنت في السر موافقة مع رأيي؟».

ان ابتسامته الواثقة بعثت الاستياء فيها فذهبت الى المطبخ بدون ان تحاول الرد، لحقها ادريان:

«اعتبر سلوكك العدائي بأنه تأييد».

«اعتبره ما شئت».

ادارت كلا الحنفيتين بقوتها وراح الماء يتدفق بعنف في حوض غسيل الأواني وانتشر الى ما وراء الحوض وابتلت ملابسها فمسحت بدلتها بمنشفة قريبة منها. ثم غسلت الأكواب والصحون الصغيرة محدثة جلبة في المطبخ وهي تضع الصحون مقلوبة واحدة بعد الأخر على لوحة ترشيح الماء بجانب الحوض. اخذ الدكتور كرافورد منشفة لكنها التفتت واختطفتها منه.

لمعت عيناه وكأنها تلمح خطراً.

وانا اصره.
قال بوجه صارم مما جعلها تلين بهدوء. اعطته المنشفة واستمرت في غسل الأواني.
«انت تعرفين» قال مستغرقاً في التفكير، «ان صديقكم بجيري، انه من النوع الذي يمكن وصفه بالكلاسيكي فمواضيعه تعود كثيراً الى الماضي بحيث انه يرى الآن الحاضر بعيني احد من الماضي. ان افكاره المتحاملة عن العلم والعلماء مبنية اساساً عبر ملاحظات عقيمة وجاهلة للآخرين حيث قبلها بدون جدل بدون ان يفكر لنفسه. ولو انك مخلصة ولست متحاملة بهذه الدرجة العمياء بسبب تجربتك المؤسفة البسيطة ضمن اطار عائلتك فانك بلا شك توافقين على رأيي».
استدارت ثم قالت: «انه انت الذي تعرض جهلك وتحاملك بسبب ملاحظاتك الخالية من اي ذوق، ان الغرض الأساسي للموضوع الذي ادرسه في الكلية هو اعادة الصفة الانسانية للعلماء من امثالك الذين يرفعون انوفهم لمجرد الاشارة الى الثقافة».
ارتفعت حاجباه بشدة:
«اذن فالعلماء اغبياء ثقافياً؟ ها انك تتشبهين بصديقك وتعيدين كالببغاء ما سمعته من الآخرين. في يوم ما سأجعلك تأكلين كلماتك هذه يا آنسة بارهام، وسنرى من منا هو الأكثر ثقافة».
علق المنشفة على السكة ووضع يديه في جيبه. انها متأكدة من ان كلماته الأخيرة موجهة لغرض الاستفزاز. كانت ابتسامته تحمل معاني الخبث وتعمد الأذى:
«الهدف الأساسي في الحياة كما أراه لمتخصصي الاداب والكلاسيك مثل صديقك هو ان يجعلونا نحن العلماء نقدر عملنا اكثر مما نحن عليه الآن».
انجرت هي الى الفخ الذي نصبه، فقالت بعصبية:
«لا شك انك تشملني ايضاً في قولك هذا».

«نعم انت كذلك. فأنت تتكلمين بالحماقة نفسها التي تكلم بها حول مواضيع بعيدة عن قدرتك على فهمها».
قابلته وجهاً لوجه وقد شدت على قبضة يدها:
«ألا تأخذ شعورك المتعالي هذا بعيداً عن هنا، يا دكتور كرافورد، وتتركني لشأني؟».
ولكن لشد ما راعها ان ترى الدموع وقد ملأت مقلتيها بدون ارادتها وهو يراقب مذهلاً.
«انني متأسف!».
قال وهو ينظر اليها عن قرب ولم اقصد ايذائك، ان غشاء التصلب الذي تحاولين به تغطية نفسك يبدو اضعف من الجد. سأحاول تذكر ذلك في المستقبل».
التفت الى الباب وابتسم. «تصبحين على خير يا روزالي».
اخذت روزالي تعتاد على عملها الجديد. ان موضوعها الدراسات العامة من المواضيع الالزامية لجميع الطلبة، لذا فإن كل قسم من الكلية ممثلاً في صفوفها. لقد اكتشفت ان التعامل مع هؤلاء الشباب الذين يختلفون بعضهم عن الآخر في اصولهم البيتية ومستوياتهم الثقافية، جعل معرفتها وخيالها يمتدان الى درجة اوسع بكثير مما كانت عليه خلال تدريسها لأولاد المدرسة قليلي الاستفسار لقد وجدت ان ذكاء وآراء الطلبة ذات صيغات تجديدية ومليئة بروح التحدي لمعرفة المبهم حتى ان المناقشات غالباً ما اتصفت بالحدة والحرارة، وكثيراً ما تركت جانباً الملاحظات التي تبيتها في البيت بدون الرجوع الى اي اشارة منها. واصبح ذلك سبباً للقلق لأنها تخاف ان تفلت الأمور من الضبط والسيطرة الضروريين. لذلك قررت ان تتحدث الى رئيس قسمها، رجل اسمه واليس ماسون.
وفي اليوم الذي ذهبت به لتراه، كانت سكرتيرته في مكتبه، حيث قدمها واليس ماسون: «ماريون، هذه الآنسة بارهام، محاضرة الدراسات العامة الجديدة، ابنة فرانكلين بارهام، رئيس قسم العلوم

والرياضيات. أليس كذلك يا آنسة بارهام؟».

هزت رأسها قليلا في التأييد. «آنسة بارهام، اقدم لك سكرتيرتي التي لا غنى لي عنها – ماريون هارلينغ. اعتقد ان اسم الآنسة بارهام هو روزالي؟».

ابتسمت روزالي:

«لا بد ان يكون والدي قد ذكره».

قال واليس ماسون لسكرتيرته انه يستدعيها في وقت اخر ودعى روزالي لتجلس ولاحظت انه ينظر اليها باهتمام وان شيئاً اخر في عينيه لم تهتم في تفسيره:

«ألديك اي انزعاج حول عملك يا آنسة بارهام؟».

اخبرته عن بعض شكوكها وقلقها بينما كانت تحاول ان لا تتأثر او تضطرب من نظرته المركزة. لكنه طمأنها حول كل ما اثارته وراح يمشي في الغرفة وهو يقول:

«جميع هذه المشاركة التي يبديها الطلبة تدل دلالة واضحة ان محاضراتك ناجحة. اذ من الواضح انك تشاركينهم بصورة كافية في المواضيع التي تناقشينها لتجعليهم يعبرون عن ارائهم ويقولون ما يجيش في خواطرهم».

«انني لم اذكر الموضوع بهذا الشكل».

قالت روزالي جواباً على تعليقه.

جلس في كرسيه واستمر:

«انت تعرفين ان ذلك هو في الحقيقة الهدف المرجو في الأساس من تدريس موضوع الدراسات العامة، لمساعدتهم كأفراد ومجموعات ان يعبروا عن انفسهم بصورة اكثر كفاءة لكسر حاجز التفاهم. ربما لم تلاحظ بعد كم عدد الشبان والشابات الذين يأتون لهذه الكلية وهم يحملون معهم شيئاً من بقعة عمياء فيما يتعلق بقابليتهم على التعبير عن انفسهم».

بدأت روزالي تشعر بسعادة اكثر بعملها بينما هي تستمع الى

حديث رئيس القسم. عرفت بأنها تسير في الطريق الصحيح. ابتسمت له فرد عليها بابتسامة ودية فحاولت تجاهل الدعوة الموجهة خلف الابتسامة تلك:

«الذي بدأت اعمله الآن يا سيد ماسون، هو انني بدأت اخطط اسلوبي الخاص في تناول الموضوع. فحيثما نناقش الجوانب الأكثر شخصية في المنهاج مثل العلاقات الشخصية وآمل ان يكون ذلك مسموح به، فانني اطلب اليهم ان يجلسوا حولي على الأرض بعد ان تدفع بالمناضد والكراسي الى الوراء».

فكر بما قالته ثم هز رأسه بالموافقة:

«انها فكرة جيدة غير معتادة».

«نعم.. لكنني ادرك ان هذا الاسلوب قد لا يكون شديد التمسك بالاصول التقليدية، لكن اثره في تحطيم حاجز الاتصال والتفاهم قد برهن على فعالية هائلة. فحالما يجلسون على مستوى الأرض، يبدو ان اثراً تحررياً كبيراً يكتنف عقولهم».

ضحك من كلماتها وقال:

«يكتنف عقولهم فقط، ذلك ما آمله، وليست باساليب اخرى، في حالة وجود طالبات بينهم!».

فهمت ما ذهب اليه من قصد وضحكت معه.

«لم تخطر ببالهم تلك الاتجاهات حتى الآن! ولكن سأضع عيناً واعية حذرة حول ذلك».

نظر الى ساعته ووقف. وقفت روزالي ايضاً:

«آمل انك اكثر راحة الآن؟».

«نعم كثيراً.. شكراً يا سيد ماسون».

«في اي وقت تحتاجين الى استشارة، يمكنك ان تأتي الي. والآن...» نظر الى ساعته مرة اخرى: «حان وقت تناول القهوة، هل ترغبين تناولها معي؟».

خجلت من السؤال في عينيه:

«حسناً، انا. . . حسناً. . . نعم شكراً ارغب بذلك».
فتح باب سكرتيرته:
«نحن ذاهبان الى القهوة يا ماريون هل تريدين ان تأتي معنا؟».
توقفت ماريون عن الطبع، رفعت حقيبتها اليدوية ومشت بطول الرواق معهما. وجدوا طاولة فارغة في مطعم هيئة التدريس وسألها ماسون حول تجاربها التدريسية في مدرسة الأولاد.
«لقد كانت مليئة بالتقليد» قالت له «وكلها ارتباطاً بالماضي. فهم يدرسون اليونانية القديمة هناك. . . ليست اليونانية الحديثة مثلاً. وهناك الكثير من الأولاد الذين يدرسون ذلك، لي صديق يقوم بالتدريس في هذا الموضوع كان يتعجب دائماً للاعداد الكبيرة من الاباء والامهات الذين يريدون اولادهم ان يدرسوا هذا الموضوع».
نظر واليس اليها باهتمام:
«هل تعتقدين ان مثل هذه المواضيع قليلة التطبيق في عالمنا الحديث؟».
«حسناً! ارى انها لا تقدم مساهمة في اي حقل تجاه حل مشاكل عالمنا الحالي. . . اليس كذلك؟».
توقفت وقد تملكها بعض الاضطراب بعد ان شعرت ما الذي تتحدث عنه. هل تغلغلت بافكار الدكتور كرافورد بهذا العمق الذي جعلها تتبناها كأفكارها؟ نظرت حولها في المطعم ولشد ما راعها حين اكتشفت انه كان جالساً الى الطاولة المجاورة لهم وينصت باهتمام لنقاشهم. ادار رأسه تجاههم بينما توقفت روزالي عن الحديث وكانت ابتسامته تحمل معها سخرية لطيفة. نظرت الى الاسفل نحو فنجان القهوة امامها محاولة استعادة توازنها. ولحسن الحظ كان واليس ماسون وسكرتيرته يتحدثان فسنح لها الوقت ان تتمالك نفسها.
لم تشعر الا تلك الدقيقة كم كانت تفتقد ادريان كرافورد التقت عيناها به الآن، ومرة اخرى في الرواق، وكانت تراه احياناً وقت الغداء في المطعم.

كان يزور بيت والديها حوالى مرتين في الاسبوع للعمل في الكتاب المدرسي الذي يساعد والدها في تأليفه لكنه لم يبق في اي من هذه المرات لتناول الطعام. وغالباً ما تكون هي خارجة عند قدومه الى البيت ولكن حتى في حالة وجودها داخل البيت فانها كانت تبقى في غرفة نومها. لم تكن تريد ان تلتقي به لسبب مبهم لا تفهمه. فقد كانت تريد ان تختفي عنه.
عرفت الآن لماذا؟ ان اثره على دقات نبضها اثر مدمر وقربه منها هو ترف ليس في وسعها تحمله دائماً. اصبحت افكارها في غاية الاضطراب حتى فقدت الانضباط في حركاتها مما شجع واليس على اعتبار ذلك دعوة مفتوحة له. خاصة وهي تشك ان يكون من النوع الذي يحتاج الكثير من التشجيع كما برهنت الدقائق التالية على صحة ذلك.
«هل ستكونين مشغولة في المساء يا روزالي؟».
كان صوته منخفضاً عندما نطق باسمها بينما كانت عيناه تعبران عن الرجاء. لقد ذهلت وتراجعت على الفور.
«في العادة اكون مشغولة جداً يا سيد ماسون. عندما لا التقي بصديقي، فانني عادة أكون مشغولة بتحضير ملاحظاتي في البيت».
لقد اخذ على حين غرة بردها عليه، لكنه لم يخجل او يتردد ومن الواضح انه لم يفقد الأمل بأن يصل الى نجاح ما في المرة المقبلة. يبدو ان الدكتور كرافورد كان عارفاً بمجرى الحديث حيث ادار عيناً تفحصية نحوهما. نظرت روزالي اليه بتحد كأنها تصرخ عليه بسكوت، وبكل تأكيد ان لا يتدخل فيما لا يعنيه.
وبعد ذلك، كانت روزالي غالباً ما تتناول القهوة الصباحية مع ماريون. لقد اكتشفتا اهتمامات مشتركة وكلاهما احبتا السير مع بعض. كان لديهما حماس مشترك حول بيوتات الشباب وقررتا القيام برحلة الى حقول يورك شاير.
وكان واليس ماسون يشاركهما الطاولة احياناً في تناول القهوة

ويبدو ان اهتماماته بروزالي قد ازدادت بدلاً من ان تتراجع رغم ردها القوي له.

وفي صباح يوم ما، بينما كانت جالسة لوحدها في غرفة الطعام الخاصة بالهيئة التدريسية تفكر في عالم حالم خاص بها حينها وقف شخص ما الى جانبها:

«مرحباً، روزالي».

ذهلت فخرجت من احلامها النهارية لتنظر في عينين بنيتين.

«اوه، مرحباً دكتور كرافورد».

جلس مقابلها مع قهوته.

«اعيدي ورائي، اد-ر-ي-ا-ن».

ابتسمت: «ادريان!».

«درجة كاملة! تلميذة جيدة. حتى اني اتمكن من تدريسك الرياضيات في يوم ما».

تعهد كلماته بوعد ليس في وسعها ان تأخذه مأخذ الجد لانها تعلم ان الوعد مزيف. ضحكت وهي تشعر خفيفة التكلف بوجودها قريبة منه:

«اشك في ذلك. ان تدريسك عندئذ لا بد ان يكون على درجة فائقة لكي يدخل حتى مبادىء الرياضيات في دماغي».

«وهل هذا تحدٍ؟».

«اوه... كلا. لدي ما يكفيني الآن لأنشغل في عملي. شكراً في اي حال على امتداحك ذكائي بأكثر مما اعتقد».

اضاف كمية من السكر في كوب قهوته وراح يحرك كوبه. وبعد ان اخذ رشفة من قهوته قال:

«سمعت من ابيك ان لديك جهاز تلفزيون عاطلاً عن العمل».

نعم تعطل عن العمل لتوه. انه جهازي الخاص الذي احتفظ به في غرفتي. كنت عازمة على الاتصال بأحد المخازن ليرسلوا لي احداً يفحصه لي».

«هل يمكنني ان اقوم بذلك. اجرني اسمية فقط، اقل بكثير من المخزن».

«انت؟ هل تعرف اي شيء عن التلفزيون؟».

«قدر مناسب من المعرفة. كذلك اعرف عن الراديو. وحالياً اصنع راديو خاصاً بي. راديو استلام مجسم».

«تصنع جهاز راديو؟ لكن هذا غريب».

«شكراً».

«لكنني لا اعرف ان من الممكن لشخص عادي ان يصنع واحداً، دعنا من كون ذلك...» توقفت عن الكلام بعد تلعثم.

«استمري. دعنا من كون ذلك يمكن ان يقوم به عالم رياضيات كثير النسيان بعيداً عن عالم الواقع. قولي ذلك ولا ترددي! من الواضح انك قد وقعت في التصور الخرافي الممجوج الذي بناه بشأننا كتاب المسرحيات والروايات وكتاب قصص الاطفال الهزلية. ولكن عودة الى موضوع حديثنا، هل تريدين ان القي نظرة على جهاز تلفزيونك واحاول ان اعرف ما الذي عطله».

«حسناً، نعم من فضلك يا ادريان. اكون ممتنة لذلك جداً».

«بكل ممنونية يا روزالي. انه رد متواضع على حسن الضيافة التي غمرتني بها في بيتكم».

بهت سرورها للسبب الذي اعطاه حول تقديم المساعدة.

«متى سآتي، هل انت متفرغة هذا المساء؟ لا صديق تستقبلينه مثلاً؟».

«ليس هذا المساء».

«وما اسمه؟ نيكول؟» هزت رأسها بالتأكيد فلمعت عيناه.

«آمل ان لا افسد الجو الطيب العجيب الذي بيننا الآن في هذه اللحظة اذا قلت انه يجب ان يضيف لاسمه، س، حتى يكون نيكولاس. ذلك ما يناسبه».

توقع منها ان تضحك، لكنها وقفت على قدميها بغضب.

سحب يدها وجرها الى الأسفل لتجلس.

«اه، اذا ذهبت غاضبة فاني لن اقدم خدماتي الثمينة. خاصة وانها خدمات مجانية».

لقد غيرت لمسة يده الانزعاج عندها الى عاطفة حلوة جعلتها تبتسم:

«حسناً، هذا المساء. هل لك ان تتناول الطعام عندنا؟».

«اوه، لا اعتقد ذلك شكراً».

«ذلك ما سبق وقلته. والداي كانا قد طلبا الي ان ابلغك ان بامكانك ان تأتي وتذهب اي وقت تشاء. انهما يرحبان بزيارتك دائماً».

«ذلك لطف منهما. انني استغرب لماذا؟».

«ربما انك تملأ ذلك الفراغ الذي طالما احسا به بسبب رغبتهما الدائمة في الحصول على ابن ولم يحصلا على ذلك».

«قد اكون كبير السن بالنسبة لذلك، فانني ابلغ من العمر ٣٤ عاماً». نظر اليها بتحد ثم قال: «ولكن اذا كان الأمر هكذا، فان ذلك يمكن ان يعني انني سأكون اخوك المتبنى. ما رأيك في ذلك؟».

غيرت تقاطيع وجهها:

«اخي؟ لا ابداً، شكراً. لا يمكنني ان انظر اليك كأخ».

«هل صحيح ذلك؟ انني اجد لرد فعلك اهمية خاصة عندي».

نظر اليها بنصف ابتسامة مليئة بالمعنى فتململت بعدم ارتياح.

«حان الوقت لأن اذهب الآن».

«هل اتفقنا على وقت؟».

«يمكنك ان تأخذني بدلاً من والدي عند انتهاء الصفوف فنذهب الى البيت. لقد ابلغني انه سيتأخر قليلاً هذا المساء».

«حسناً، انه موعد اذن. الساعة الخامسة؟ الى اللقاء». لوح بيده وذهب.

في الساعة الخامسة مد ادريان رأسه في غرفة هيئة التدريس حيث

جلست روزالي:

«هل انت مستعدة يا روزالي؟».

قامت واتجهت نحوه في الحال:

«انك دقيق في مواعيدك».

«تلك عادة ثابتة عندي».

مشى الى موقف السيارات وفتح باب السيارة بمفتاحه وجعلها تدخل الى الكرسي الأمامي. وبينما هما يتجهان الى الطريق العام سألها:

«هل اعتدت الآن على عملك الجديد؟».

«نعم. شكراً. انني اجد متعة به، واجده يشتمل على ابداع في تدريس الشبان والشابات. ومع ذلك يجب ان اعترف ان الأفكار والآراء التي يطرحونها تذعرني احياناً بصراحتها!».

«ولكن بكل تأكيد انك لست اكبر سناً بكثير منهم. كم عمرك انت؟».

«اربعة وعشرون سنة. لم اعد شابة جداً كما تراني».

ربت على يدها:

«سيدة كبيرة السن بالفعل!».

تحركت يدها اليمنى لتغطي يدها اليسرى على المكان الذي لامسته يده:

«اصبحت صديقة لماريون هارلينغ».

«سكرتيرة ماسون؟ يبدو انها فتاة طيبة. كما انها كفوءة جداً في العمل. اكثر من سكرتيرة والدك. ومع ذلك لا يمكن ان يكون كل شيء على ما يرام. لدى جين جمال وجاذبية. ما الذي يريده اي رجل اكثر من هذا؟».

«ربما يتطلب الأمر وجود الذكاء ايضاً».

«انسني! الذكاء موجود عندها ايضاً».

اطلق نظرة باتجاهها ولا بد ان يكون لاحظ قبضة يدها المشدودة

لأنه ابتسم فجأة.

وعندما تكلمت حاولت ان تجعل صوتها منخفضاً وتحت سيطرة كاملة:

«اكتشفت ان ماريون تحب المشي كثيراً مثلي تماماً. لقد خططنا بصورة مبدئية لقضاء بضعة ايام معاً حول عطلة المصارف لقضائها اما في ديربي شاير او يورك شاير».

ارتفع حاجباه:

«هل تحبين المشي؟ بكل تأكيد انك من مستوى لا يتقبل مثل هذه الفعاليات التي تقوم بها الفتيات في الهواء الطلق. بالنسبة لماريون، نعم يمكن ان تقوم بها ولكن انت، بكل تأكيد لا».

«متأسفة لأن اخالف فأعرقل نظرياتك الجديدة حولي لكنك لا تعرف طبيعتي. لقد مشيت مئات الأميال في اوقات فراغي خاصة خلال عطلة الجامعة».

«هل حدث وشاركت في بيوتات الشباب؟».

«مرات عديدة. وكانت مصدراً للمتعة عندي». نظرت اليه وتابعت:

«هل ستسافر في عطلة نصف السنة؟».

«انا؟ انني دائماً اذهب الى بيت والدتي». لم يتحدث تفصيلاً عن ذلك.

«ها قد وصلنا».

نزلا من السيارة:

«تفضلي امامي يا آنسة بارهام».

وبينما سارا على السلم باتجاه غرفة نومها، فكرت انه يجب تهيئته لذلك، فقالت وهي تشعر بقليل من عدم الراحة:

«لم اكن اتوقع زائرين، لذلك آمل انك ستعذرني للفوضى التي قد تراها».

«فوضى! لا اعتقد بوجود شيء خارج مكانه في غرفتك».

ضحكت ودفعت الباب. نظر الى الكتب والفايلات مرماة على سجادة الغرفة والى الأوراق التي غطت فراش النوم والكرسي المحمل بالملابس المرمية على كلا جانبيه. وضع يده على رأسه وتراجع قليلاً الى الوراء.

«ارى ما تقصدينه». تابع خطواتها وتظاهر بالتهديد حينما قال لها:

«لقد تحمست لترتيب وتنظيم مكاني؟ لقد ايقظت عواطفك الانثوية، اليس كذلك؟ ما قيمة تلك العواطف الآن؟».

تراجعت قليلاً عنه وضحكت:

«لم احاول ان انذرك مقدماً عن فوضى غرفتي. ولكن حتى رأيت رد فعلك اقسم لك انني لم احس بلسعة الفوضى الموجودة فيها. اعتقد ان المرء يستطيع ان يرى فوضى الآخرين ولكن ليس الفوضى التي عنده ما لم تنظر اليها من خلال عيون الآخرين».

«ذلك عذر واه» ابتسم وهو يخطو في الغرفة.

«لكنني سأقول لك شيئاً. انني اعجب بك اكثر بسبب ذلك. اذ ان ذلك يجعلني غير غريب. هل يمكنني ان اجلس؟».

اسرعت وجمعت الملابس من الكرسي:

«تفضل خذ راحتك». رمت البدلات على السرير. «هل يعجبك كوباً من الشاي؟».

«لن اقول كلا».

«سأنزل واضع غلاية الشاي على النار. هذا هو جهاز التلفزيون».

نظر الى الجهاز بتجهم:

«انه من النماذج القديمة اليس كذلك؟».

«نعم فقد كان موضوعاً في الطابق الأسفل، لكن والدي ابدله بجهاز حديث واعطاني القديم. هل تسمح لي ان اهيء الشاي؟».

هز رأسه بالموافقة بينما انهمك في الفحص. عندما عادت مع الشاي والبسكويت كان ظهر التلفزيون مفتوحاً وادريان مشغولاً به

حتى انه لم يشعر بوجودها. قالت له ان شايه قد صب في الكوب، لكنه لم يجب رغم سماعه قولها. راقبت اصابعه تجس وتفحص تسحب وتدفع. ثم راحت عيناها تنظر الى كتفيه العريضتين وشعره البني الكثيف. توجد فيه موجة خفيفة، ادارت نفسها بسرعة وشربت جرعة من الشاي قبل ان تسرح افكارها خارج سيطرتها.

«شايك اصبح جاهزاً يا ادريان».

قالت برقة فالتفت اليها اخيراً واخذ يمسح يديه بمنديله. «عمل رجالي بحت». قالت مع نفسها، مع تدفق شعور هو بالتأكيد يبعد كل البعد عن الشعور الذي يحدث عادة بين الأخت واخيها. نبهت نفسها مرة اخرى بضرورة السيطرة على الموقف.

«هل وجدت ما هو العطل فيه؟».

«كلا، من الصعب بدون ادواتي وجهاز التلحيم».

شرب شايه واخذ واحدة من البسكويت بينما كانت افكاره ما زالت في الجهاز.

«هل من الممكن ان آتي مرة اخرى لاحاول ثانية حيث ستكون معداتي معي؟ لقد وعدت والدك في اي حال ان آتي من اجل الكتاب».

«سأكون موجودة في المساء» قالت له «ولدي ملاحظاتي التي يجب ان احضرها وبعض الواجبات للتصحيح. اي وقت بعد السابعة».

انهى شايه وغادر الى بيته.

كانت روزالي تغسل الأواني في المطبخ عندما اجابت والدتها على جرس الباب الخارجي. سمعت صوت ادريان وشعرت برعشات من الانفعال:

«مرحباً سارة» قال وهو يدخل. «هل فرانكلين موجود؟».

اذن اصبحت الأسماء الأولى تطلق للجميع في هذا البيت. هكذا؟ فكرت روزالي مع نفسها وهي تطرد طعنة سخيفة من الغيرة.

«اين روزالي؟».

كلمات بعثت فيها موجات اهتزازية من الفرح.

«في المطبخ تنظف الأواني كالعادة؟».

ضحكت سارة:

«هذا صحيح. انني ام غير جيدة. اليس كذلك، اجعل ابنتي تقوم بكل العمل؟».

«في يوم ما، سأعطيها جهازاً لغسيل الأواني، مع تحياتي».

قال واخذ صوته ينخفض قليلاً وهو يدخل غرفة الدراسة.

ضحكا معاً واغلقا غرفة الدراسة عليهما. وبعد وقت طويل كانت روزالي جالسة في غرفة نومها وحولها في كل مكان كتب مدرسية، وتمارين وحافظات الأوراق. انها تعمل ملاحظات واسعة تريد ان تكفيها للأيام القليلة القادمة. قفزت على النقرات الخفيفة على الباب.

«هل يمكنني الدخول؟».

«نعم تفضل يا ادريان» كان في يده صندوق الأدوات. «هذه تجربة جديدة لي في دعوة مهندس تلفزيون الى غرفة نومي».

«لا تشجعيني، على الأقل حتى انجز العمل الذي جئت لتأديته».

«التلفزيون ها هو في متناول يدك» قالت واستغرقت في كتابة ملاحظاتها من جديد، وبعد عشرين دقيقة سألته:

«ها . . . كيف تجري الأمور؟».

ان رائحة التلحيم الحادة اثارت انفعال خياشيمها، ولاحظت حلقات الدخان تخرج من الجهاز.

«اعتقد اني وجدت العطل، احد الاسلاك المنفصلة وزوج من الصمامات المعطوبة. لا اعتقد بوجود اي عطل اخر، يجب ان اشتري صمامين جديدين من المخزن القريب واذا لم نتوفق فسأطلبهما من مكان اخر».

اعاد غطاء التلفزيون . . . وشد براغيه بقوة.

«انه لطف منك ان تتجشم عناء ذلك» قالت وهي تنظر الى

ساعتها. وسآتيك ببعض القهوة».

«الا تستطيع امك عمله لي في الحال؟ خاصة وانك منهمكة في عملك».

«لو تنتظر امي ان تأتي به، فانني سأنتظر الى ما لا نهاية».

بدأ يجمع اشياءه بينما خرجت هي للقهوة وهي تسأل:

«اين تود تناول قهوتك مع والدي، ام معي؟».

«معك».

ركضت الى الطابق الأول وهي تشعر بفرح وخفة غامضتين، فهيأت صينيتين. رن جرس التلفون فأجابت هي.

«نيكول؟ اوه، مرحباً يا عزيزي. جيدة شكراً. وكيف حالك انت؟ ما رأيك بمساء غد؟ لا تستطيع ذلك؟ لماذا؟ اوه، هل هي كذلك؟ كلا، لا مانع لدي. اذهب ومتع نفسك. نعم انني متفرغة يوم السبت. الى اللقاء اذن. مع السلامة نيكول».

اذن فاسمها جونا، قالت لنفسها وهي تطرد شعوراً بالاكتئاب، وهي تأخذه للبيت ليلتقي مع والديها. وهو يقول ليس هناك شيء جدي وانما هو ذاهب حبا للاطلاع. وسأراه يوم السبت.

صارت تحركاتها لا ارادية وقد حملت قهوة والديها الى غرفة الدراسة.

«ادريان سيتناول قهوته معي». اخبرتهما وقد تجاهلت ارتفاع حاجبيها استغراباً. «وانه لا يزال يعمل على تصليح تلفزيوني».

اخذت الصينية الثانية الى الطابق الأعلى ودفعت باب غرفة نومها وفتحتها برجلها. كان ادريان جالساً الى منضدتها يقرأ ملاحظاتها. نظر اليها وكان يهم بالكلام عندما رأى وجهها.

«ما الذي حدث؟». سألها.

«اكاد ارى تغيراً في وجهك. هل كان المتكلم في التلفون صديقك؟».

«نعم».

«وهو الذي اثارك؟».

«هذا شيء لا يخصك».

«حسناً، سنغير الموضوع. كنت اقرأ ملاحظاتك. انني اتعجب من مدى سعة الموضوع. هل درست كل هذا عند حصولك على درجتك الاكاديمية؟».

«معظمه. اما الباقي فقد درسته بصورة خاصة».

«هل فعلاً تحسين انك مؤهلة شخصياً واكاديمياً، لتدريسهم كل هذه المواد حول العلاقات الشخصية؟ مثلاً، مرر اصبعه على طول سطر مكتوب: «كيف تنسجم مع عائلتك، كيف تتصرف مع الصديقة والصديق، مدى وحدود علاقات الحب؟ انني شخصيا احب هذا» ماذا يعني الوقوع في الحب؟ هل هو ان تحب الآخر؟. كذلك هذا، هل هناك فعلاً شيء يسمى الحب من النظرة الأولى؟ ام هل هو انجذاب فيزيولوجي .

ايتها الاستاذة، ما هو الجواب؟».

تغير لونها على هذا السؤال المثقل وحاولت التملص منه وتغيير الموضوع:

«ولماذا يجب ان تركز على هذا وتتجاهل الاشياء الاكثر اهمية؟ انظر هذه المواضيع، النقابات العمالية، الادارة المحلية، الحكومة الوطنية، القانون، دراسة عن التلفزيون التجاري، المجتمعات والعلاقات، القضايا العامة».

«انك لم تجيبي للآن عن سؤالي. اذا كنت غير قادرة على اجابتي، كيف يمكنك اجابة طلابك؟».

اصبحت اكثر اضطراباً:

«انك تختلف كثيراً. في اي حال، بناء على اعترافك انت، الحب الوحيد الذي تعرف شيئاً عنه هو حب الوالدين. كيف اذن اتحدث اليك حول الحب بين الجنسين اكثر مما يمكنك ان تتحدث به لي عن الحقائق العلمية؟» تحركت مبتعدة عنه وقد حملت كوب قهوتها. «وماذا

قلت لنيكول في ذلك المساء؟ ليس هناك فائدة في محاولة توضيح ذلك لك، لأننا لا نتحدث بلغة مشتركة يمكن ان نتفاهم بها حول الموضوع».

«اوه، هذا قول جيد يا آنسة بارهام!

لقد تجنبت اصول السؤال بكامله، باسلوب تفخر به دبلوماسية او عضو في البرلمان يسأل حول الموضوع».

انحنى في اتجاه التلفزيون ومد يده لأخذ قرص من البسكويت.

«ولكن انت بالطبع تعرفين جميع جوانب الحب، بصورة كافية حيث تلقين محاضرات على مجموعة من الطلبة المراهقين حوله».

هزت كتفيها استهجاناً على سخريته ثم ابتسمت:

«واضح، انك سوف لن تستدرجني للحديث».

ظلت صامتة. اكمل ادريان اخر رشفة من كوبه ووضعه على صحنه محدثاً قعقعة طفيفة:

«الشيء الذي اود معرفته» استمر في الحاحه، «هو كيف تنصبين من نفسك داعية اخلاقية بينما انت بسبب صغر سنك النسبي، تكادين تفتقدين النضج الثقافي الذي يمكنك من ذلك. انني اكبرك بعشر سنوات ومع ذلك فلا يمكنني الادعاء بمعرفتي كل الأجوبة. في اي حال، اذا حدث لأي طالب مشكلة ادبية اخلاقية حقيقية، وهذه بالطبع حالة منتشرة عند الكثير من الطلاب هذه الأيام، فان حلها يعتمد على شخصيته، تجاربه السابقة وأصله العائلي، وليست على برنامج محاضرات تقدمينه انت، مدرسة امرأة صغيرة السن».

«لكن الحديث مع تلك المدرسة قد يغير الموازنة ويضعه في الخط الصحيح. في اي حال، الدراسات العامة تشمل اشياء اخرى كثيرة علاوة على العلاقات الانسانية كما قلت قبل قليل. انني متأكدة بأنك تتجاهل تلك المواضيع لمجرد انك تود ان تبرهن على وجهة نظرك».

ابتسم فقط ولم يقل شيئاً اخر. كان هناك صمتاً استغرق كلاهما

فيه بالتفكير حتى سألته هي:

«كم من الوقت تطلب حصولك على الدكتوراه؟».

«بضع سنوات. تفان ومثابرة. لم اتوان لحظة».

«لذلك اتخذت اسلوب حياة اشبه بالرهبنة؟».

«لا ليس هكذا. اسلوب حياتي هو من اختياري. انت تعرفين آرائي حول ذلك».

ترددت لبرهة من الوقت، ثم شيء في داخلها دفعها للقول:

«بعد سنتين على زواج والدي كانت والدتي تريد ان تبدأ الدراسة للدكتوراه لكنها... لكنها اكتشفت انني سأولد مما جعلها تترك الفكرة». نظرت بعيداً عنه. «لا اعتقد انها سامحتني بسبب ولادتي».

لم تكن تعرف ما الذي تتوقعه منه بهذا الحديث، عطفه! ربما. ولكن بكل تأكيد لم ترد منه ذلك الغضب الذي هاجمها به لتوه:

«اتركي هذا ايتها الفتاة. لا تبدأي بايلام نفسك عن طريق الاشفاق عليها والا سأقف على قدمي واغادر المكان. سأقول لك شيئاً حول حياتي. ليس من عادتي ان اتكلم عن نفسي لاحد، خصوصاً لامرأة. لكني سأجعل من ذلك استثناء بالنسبة اليك».

تراجع قليلاً الى الوراء في جلسته ثم اطبق ساقيه: «كان والدي فلاحاً، عاملاً زراعياً»، شدد على الكلمة الاخيرة. «لم يكن لدى والدي ما يكفي من المال حينما جئت لهم. بعد سنتين على ولادتي اصيب ابي بمرض حصل له بسبب الجوع والانهاك في العمل. بعد سنتين من ذلك توفي. لذا فقد نموت وترعرعت بدون اب تقريباً. والدتي عملت وناضلت فحافظت على تماسك العائلة واصرت ان احصل على التعليم الذي كانت قد صممت ان توصلني اليه. ان حقيقة الحاجة الى المال كانت تطاردها دائماً الى ان اكملت دراستي وحصلت على عمل. ومنذ ذلك الوقت فانها لم تعد تنظر الى الوراء بالنسبة للحاجة الى المال. فانني دائم التأكد من ذلك. لقد مرت علي حياة صعبة، يا روزالي، لكنني لم اشك مثلك. الشيء الذي

تتذمرين منه هو في الواقع حاجتك لبضع قبلات وبعض التدليل؟ تزوجي صديقك حالاً وسوف يعطيك كل ما تريدين من هذه الاشياء».

لكنها لم تنصت لحديثه هذا فتابع:

«اعتقد ان امك رائعة، وانك سعيدة الحظ».

وقف على قدميه وهو يفقد صبره: «لم تفهمي قصدي، ايتها الفتاة اليس كذلك؟ يبدو انك متعلقة من الافتقاد الموهوم لحنان الأبوين. ولا ترين اي شيء غير ذلك». التفت الى الباب، تردد ثم عاد يقف امامها. وقست تعابير وجهه وهو يأخذ يدها: «انني مقتنع بشيء واحد بدون اي شك وهو عندما تتزوجين ويصبح لديك اطفال خاصين بك، سوف تحبينهم وتربينهم الحب بدون تحفظ. تصبحين على خير يا روزالي».

امتلأت عيناها بالدموع وادارت رأسها بعيداً عنه لتخفيها. نظر اليها لبضع دقائق، ترك يدها وغادر.

٣ - لحظة قرب الحقيقة

وقف نيكول على عتبة الباب مساء السبت غير واثق من الترحاب به.

«مرحباً روزالي. هل في نيتك السماح لي بالدخول؟».

«بكل تأكيد يا نيكول كيف حالك؟».

ذهبا الى البهو بدلاً من ان ترافقه للجلوس معه على الاريكة، جلست هي على كرسي منفصل. ضرب بخفة على مقعد الاريكة بجانبه، لكنها هزت رأسها بالاعتذار فنهض من مكانه وانحنى نحوها وحاول ان يعانقها لكنها لوت وجهها بعيداً عنه.

«ما الذي حدث لك؟ الا تسامحينني لقيامي بخطأ؟ لقد كانت غلطة يا روزالي. انني متأسف واعتذر. لا بد انني مغفل لأن اقع في حبائلها».

«حبائلها؟ ماذا تعني؟».

«لقد اخذتني لاقابل والديها كما وعدت. الشيء الذي لم تقله لي هو ان خطيبها كان هناك ايضاً».

ضحكت روزالي وضحكت، لم تستطع السيطرة، ضحكت بينما ظل نيكول في موقف حرج تماماً.

«اغلقي الموضوع يا روزالي».

واخيراً تمكنت من التوقف عن الضحك واخرجت منديلاً وراحت تمسح عينيها:

«اعتقد اني اعرف لماذا عملت ذلك».

قالت وهي لا زالت تضحك بصوت هادئ.

«انها طريقة ممتازة لتبعدك عن طريقها بصورة هادئة. لا بد انك كنت شديد المضايقة لها».

«روزالي! ليس انت التي تتحدث بهذا الاسلوب معي. ذلك غير صحيح. لم اظهر سوى الاهتمام العادي وهذا كل ما في الأمر. لماذا لا تقول لي الحقيقة من البداية ومباشرة؟ سؤال اعرف جوابه».

«انك لم... لم تقل لها الحقيقة... بأنك في الواقع لديك صديقة؟».

اضطربت معالم وجهه:

«انني متأسف واعتذر، روزالي، انظري، لا تعالي، واجلسي هنا بحق السماء».

فعلت ذلك واخذ يدها بيده.

«كوني عادلة يا حبيبتي. انت تعرفين انه لم يكن هناك بيني وبينها اي تفاهم، مجرد الكلام. انني سأشتري لك خاتماً على الفور. انني متأكد الآن من مشاعري تجاهك، فاذا كان ذلك شعورك نفسه، اذن يجب ان نتزوج».

«هل تطلب يدي يا نيكول؟ بسبب... اذا كان الأمر هكذا، فانني...».

اخذ يزيد من التودد وقد سحبها اليه ورغم انها تحملت عناقه فانها تماسكت وتمنت ان ينتهي.

«ماذا حدث بيننا يا حبيبتي؟» ارتد قليلاً بسبب عدم وجود تجاوب. «الا تسامحينني من اجل هفوة بسيطة؟».

نظرت اليه ورأته في عينين ليستا عينيها. تذكرت دفاعه الواهن في ذلك المساء الذي تحدث به مع ادريان. تذكرت كيف احرجه ادريان بين الأونة والاخرى بكلام مثقل متوحش وكيف تحول نيكول الى عصبي طفولي حينما وجد نفسه قد افحم ودحر بالمنطق. لقد رأت

حنكه الضعيف وفمه المائل للانوثة، وجو الغرور الذي يلازمه. كما ذكرت نفسها باهتمامه المستمر بشؤونه الخاصة واعتبارها فوق كل شيء.

«اسامحك يا نيكول؟ ليس هناك شيء يمكن ان اسامحك عليه. كما تقول انت، اننا لم يرتبط احدنا بالآخر. اذن دعنا نستمر كأصدقاء في الوقت الحاضر».

بدا عليه ارتياح واضح:

«حسناً، اصدقاء، وهو كذلك. والآن هل نذهب الى مكان ما؟ لنأكل اولاً، ثم بعد ذلك نرقص».

هزت كتفيها دلالة لعدم الاهتمام:

«قد يكون ذلك في مكانه، فليس هناك اي شيء آخر نعمله».

وبعد ذلك تناولا الطعام ثم رقصا في الفندق القريب وتنهدت الصعداء عندما اخذها نيكول الى البيت وهو يقول كالعادة انه سيتصل بها تلفونياً قريباً.

قدم الطعام في مطعم هيئة التدريس وقد تناولت روزالي طعامها في البداية مع والدها. وكان ادريان يشاركهما احياناً حيث ينجر الحديث كالعادة الى العالم بينهما، اذ تترك صاغرة لذلك كانت توافق بارتياح كلما تطلب اليها ماريون تناول الغداء معها.

لذلك صارت العادة ان تنادي ماريون كل يوم وقت الغداء وبعد برهة من الوقت يشترك واليس ماسون معهما. لقد دعى روزالي مرتين او ثلاثة لقضاء امسية معاً لكنها دأبت على رفضه. فهي تحس وكأنها لا تستطيع ان تثق به رغم انه لم يعط اي سبب لشكها هذا.

وفي صباح يوم من الأيام اخبرتها ماريون انها لن تتناول الغداء في الكلية في المستقبل. لقد اشترى ابوها كلباً ولا بد ان تذهب للبيت للعناية به. كلا والديها خارج البيت طوال النهار وهي الوحيدة في العائلة التي تعمل بمكان على مقربة من البيت تمكنها من هذه العناية.

وفي صباح يوم اخر همس واليس ماسون الى روزالي في الرواق:

«ناتي وقت الغداء كالعادة؟ هل توافقين على ذلك يا روزالي؟».

لذلك نادت عليه واستمرا يتناولان الغداء معاً. شعرت بعدم ارتياح في البداية بسبب متابعة الأعين لهما اثناء مرورهما باتجاه المطعم. وكانت تستمر هذه الأعين تنظر اليهما طوال تناول الوجبة. لم تستطع فهم سبب متابعة الاخرين لحركاتها حتى صارت تتحدى هذه العيون وتهزأ منها.

وفي احد الأيام قدم واليس اليها سيكارة:

«لم ادخن من قبل» قالت وهي تضحك. «لا اعرف كيف ابدأ بتدخينها».

لذا فقد بدأ يعلمها كيف تدخن. انحنى على الطاولة ووضع واحدة بين شفتيها. اشعل قداحته وأمسكها السيكارة. قال لها ما الذي تعمله، وفي المحاولة الأولى اخذت تسحب دخانها. ضحكا معاً وجلبا مزيداً من الاهتمام.

«لا اصدق انك لم تدخني من قبل» قال وهو يراقبها عن كثب. «انك تدخنين كالجندي».

«لم ادخن من قبل صدقني».

إبتسمت اليه وانحنى الى الأمام ووضع يده على يدها وهو يقول بهدوء:

«هل تخرجين معي هذا المساء يا روزالي؟ ارجوك؟».

تلون وجهها قليلاً، وكادت ترفض، لكنها غيرت رأيها. لماذا ترفض دائماً؟ لماذا لا تذهب معه مرة. لم يعد نيكول مهتماً بها واندريان لن يهتم. لذلك فقد قررت ان توافق:

«شكراً، ارغب بذلك».

إبتسامة الارتياح التي تحمل طابع الخبث التي بدت على وجهه بعثت فيها قلقاً غامضاً:

«نتناول الطعام ونرقص في مكان ما؟».

اتفقا على موعد. وبينما هما يغادران المطعم معاً، ويده تمسك

ذراعها لمحت عين ادريان. كانت نظرته تحمل الاشمئزاز لذلك فقد مضت في مشيتها بتحد. والتفتت الى واليس تبتسم اليه اثناء مرور ادريان من جانبها في الرواق.

تركته خارج دائرته:

«السابعة والنصف، روزالي؟ لن آتي الى بيتك، ارجوك سأقابلك في نهاية الشارع. اتفقنا؟».

رفع يده بينما مشت هي في طريقها. في ذلك المساء لبست رداءها نظرت على طول قامتها في المرآة وتذكرت همسة ادريان:

«اختيارك للألوان فظيع».

لكأنها تشعر انه يحملق بها، لكن نظرة سريعة لا ارادية خلف كتفها اكدت لها ان خيالها قد خدعها. ولماذا ستهتم بما قاله ادريان كرافورد حول ذوقها.

نزلت مسرعة من سلم البيت فالتقت بوالديها في قاعة البيت:

«الى اين انت ذاهبة يا عزيزتي؟» سألتها امها وقد بدا عليها قليل من الاستغراب.

«لتناول العشاء والرقص».

اجابت وقد انسلت الى الخارج قبل ان يلحقها السؤال الآخر.

«ومع من؟».

تبعها صوت والدها الى الباب،

تظاهرت انها لم تسمع، ان شيئاً ما قد منعها ان تقول لهما، وهي تعرف لماذا. ان والدها يعرف واليس ماسون بالطبع وهي تحس بصورة مبهمة انه لا يوافق على ذلك.

«وادريان قادم هذا المساء» كانت آخر كلمات تسمعها وهي تركض منحدرة في الطريق..

كانت سيارة واليس ماسون الرياضية تقف على زاوية الطريق مرت سيارة ادريان قادمة في الاتجاه المعاكس. تعمدت روزالي ادارة عينيها عنه لكنها تعتقد انه لا بد رآها ذلك لأن سيارته قد مرت قريباً

جداً من سيارة واليس. حتى وان رأى لم تهتم؟ فكرت مع نفسها. المسألة ليست من شأنه.

لقد صممت على ان تمتع نفسها وان تبدو بطبع مرح اثناء تناولها الطعام وعندما يرقصان في فندق ضخم على مسافة خارج المدينة. واليس، حيث طلب منها ان تناديه باسمه الأول، مضيف بارع، مهذب، وفي غاية الجاذبية. لقد نست جميع الشكوك التي كانت تجول في خاطرها حوله، لا يمكنها التغاضي عن تصرفه الودي. وعندما اعادها الى البيت وقف مرة اخرى في نهاية الشارع. لم تعرف سبب ذلك، لذا فقد حيرتها حركته هذه، عدم الاقتراب من البيت. لكنها توصلت الى الرأي من انه لا يريد ان يدير السيارة راجعاً في طريق تصعب الاستدارة فيه كطريق بيتها.

رفع يديه وادار وجهها اليه:

«لنخرج معاً مرة اخرى يا روزالي؟ في وقت قريب؟».

هزت رأسها بالتأييد مرة اخرى. فعانقها برقة ولم يطلب اكثر، مرت سيارتان او اكثر في كلا الاتجاهين لكن قلبها كان سريع النبضات بحيث انها لم تعبأ لذلك.

«شكراً على هذه الأمسية اللطيفة يا واليس».

همست باذنه. ثم مشت الى البيت ونظرت الى الخلف ولوحت اليه بيدها وقبل ان تدخل الباب الخارجي، انطلق هو بسيارته.

«مرحبا يا عزيزتي» حياها والدها على عتبة الباب. «لم تتأخري كما كنا نتوقع. الم تري ادريان، لقد ذهب لتوه».

وبعد ظهر اليوم التالي فتحت روزالي باب مكتب ابيها فوجدته فارغاً. تأخر كالعادة فكرت في نفسها ووضعت حقيبة يدها على طاولته وانزلت حقيبتها المكتبية على الأرض ومرت في عرض الغرفة الى مكتب جين. فتحت الباب ومدت رأسها في الغرفة:

«مرحباً»

قالت روزالي بخفة ثم انسحبت وهي تقول:

«ارجو المعذرة ظننت انك لوحدك».

كان ادريان منحنياً على السكرتيرة، احدى يديه على طاولتها والاخرى على ظهر كرسيها. لقد كان قريباً جداً منها حتى ان خده يلامس شعرها الأصفر الحريري. لقد كان يراقب وهي تطبع رسالة. سمع صوت روزالي فنظر عبر كتفه واعتدل في قامته.

«مرحباً، روزالي. اي خدمة نقدمها لك؟».

انتبهت بصورة خاصة لاستعماله لغة الجمع في كلمة، نقدمها، وهي تتراجع بسرعة نحو غرفة والدها.

نادتها جين:

«تعالي يا روزالي. ليسَ هناك شيء خاص يجري هنا. هذا الدكتور كرافورد».

كانت عيناها الواسعتان الطفوليتان تبحثان عنه فسمعت صوته، قريباً جداً اليها. كان يقول للسكرتيرة:

«هس! لا تقولي لها يا جين. فاذا ادعينا ان عندنا سراً، فمن يدري فقد يحدث ذلك فعلاً بعد ذلك؟».

ضحكا معاً وكان صوت روزالي يسمع بدون نبرة وهي تنادي من الغرفة الأخرى:

«حسناً يا جين ليس لدي شيء يذكر. اردت قضاء الوقت قربك في انتظار بابا».

جلست في الكرسي المتحرك وراحت تهز نفسها من جانب الى اخر لتزيل الملل بعد عناء اليوم. وهنا جاء ادريان من غرفة السكرتيرة واغلق الباب خلفه. استمرت روزالي تضع عينيها على نشرة كانت قد التقطتها من طاولة والدها وتظاهرت بأنها مشغولة في القراءة.

«عدت اليها مرة اخرى يا آنسة بارهام؟».

نظرت الى الأعلى، ولاحظت اعتراضه فاسقطت النشرة على سطح الطاولة:

«استغفر الله!».

قالت متظاهرة بالفزع الممزوج بالدلال.

«لا شيء سري فيها. انظر اليها انت بنفسك».

مشت الى الشباك لتنظر الى الخارج:

«اتمنى لو انك لا تتجسس علي يا دكتور كرافورد».

لم يجب عليها في باديء الأمر، فالتفتت لتراه واقفاً الى جانب الطاولة وهو يقلب صفحات النشرة التي تركتها:

«اتجسس عليك؟» لم يرفع عينيه. «مع شديد احترامي، انا لا اسمي التأنيب تجسساً عليك، يا آنسة بارهام؟». مشت بشيء من العصبية داخل الغرفة بدون ان تقول شيئاً متمنية ان يأتي والدها في الحال.

«كنت. . . كنت اريد ان اسألك».

وضع ادريان النشرة على الطاولة وجلس على حافة زاوية الطاولة،

«هل في الامكان ان آتي لاصلح جهاز التلفزيون نهاية هذا الاسبوع. لقد وفرت الادوات الاحتياطية من المخزن وبامكاني انهاء العمل الآن».

«نعم اذا اردت ذلك» اجابت بدون اهتمام واضافت: «اي يوم يناسبك، السبت ام الأحد؟».

«متى تكونين متفرغة؟».

«كلا اليومين».

«هل هذا صحيح؟ اذن سأختار السبت. لا تزيدي من حماسك رجاء».

جعلتها الكلمات الأخيرة تبتسم:

«ارجو المعذرة، اذا بدوت لك ناكرة للجميل. انه لطف منك ان تهتم بالموضوع».

«قلت ذلك من قبل».

لاحظت عيناه الفتور وعدم الاهتمام في وجهها وحركاتها. لكنه لم يبد اي تعليق.

«اه، روزالي». دخل والدها مسرعاً: «اسف انني قد تأخرت مرة اخرى. امسك بي احد اعضاء مجلس المدراء. مرحباً ادريان».

ابتسم ادريان وسحب نفسه عن الطاولة. نظر فرانكلين اليه:

«هل فكرة هل سألت جين عن الطباعة التي اردناها ان تعمله؟».

دق ادريان اصابعه:

«في الحقيقة، نسيت ذلك تماماً».

ذهب على الفور الى غرفة السكرتيرة:

«انسة هيلوود هلا تكرمت بقدومك الينا لحظة؟ رئيسك وانا نطلب منك ان تؤدي لنا خدمة».

تمشت روزالي الى جهة مكتب والدها، التقطت النشرة التي كانت تقرأ فيها مرة اخرى وقالت:

«هل تسمح لي يا بابا؟».

«بالطبع يا عزيزتي، تفضلي. ليس على مكتبي شيء خاص».

ونظرت الى ادريان ببراءة ساخرة. بدا وجهه كأنه قناع مخيف. اتكأت على حافة الشباك وراحت تقرأ بينما راح الباقون يتحدثون.

سحب ادريان كرسيه الى قرب جين وانحنى قريباً منها وهو يوضح لها ما الذي يريدانه ان تقوم به. اخبراها حول الكتاب الذي يكتبانه، وطلبا منها ان تأتي الى البيت في الامسيات لطبع مسودات الكتاب، واذا وافقت سيستعيرا طابعة خاصة للرياضيات من الكلية لكي تستعملها هي. نظرت جين الى ادريان وتبسمت.

«سوف يسرني ان اساعد في ذلك. لم يسبق لي ان قمت بهذا العمل. لذلك فإن عليكما ان تقولا لي بالضبط ما الذي يجب عمله».

«الدكتور كرافورد سيقدم لك المساعدة التي تحتاجينها يا جين انه ذو نفس طويل وصبور وتوضيحاته كافية دائماً. واننا لا نتوقعك ان تقومي بذلك بدون مقابل بالطبع».

ناقشوا شؤون العمل ثم وقفوا جميعاً.

«متى سأبدأ، سيد بارهام؟».

اجاب ادريان:

«هذا المساء، اذا كنت غير مشغولة؟».

اتفقا على ان تصل بعد الساعة السابعة.

«سأوصلك الى بيتك الآن يا جين». كانت يد ادريان على كتفها:

«انك في طريقي، بيتكم لا يبعد كثيراً عن بيتي، أليس كذلك؟».

امسك ادريان بالباب مفتوحاً اليها ثم تبعها الى الرواق بدون ان ينظر الى الوراء. وقفت روزالي الى جانب الشباك وهي تنظر اليهما يبتسمان احدهما للآخر وهما في طريقهما الى السيارة.

بقيت روزالي في غرفتها ذلك المساء. كانت تشعر بالوحدة كالمنبوذة، اذ ان معنوياتها في ادنى مستوى فانها كانت تحس بالحاجة لمن يواسيها. عبثت في حقيبتها اليدوية فوجدت علبة سكائر كانت قد اشترتها في اليوم السابق. وضعت واحدة في فمها واشعلتها. وبين نوبات السعال حاولت ان تفكر في عملها لكن فكرها استمر شارداً بعيداً عنها حيث فكرت ان واليس لو يسمعها وهي تسعل من التدخين لضحك منها.

ورغم انها انصتت بحدة، لم تكن تسمع اي دقات للآلة الطابعة. انها تسمع اصوات احاديث وضحك تنطلق من اربعة اشخاص في غرفة الدراسة. والداها، ادريان وجين. وذلك يعني انهم في الحقيقة لا يعملون مطلقاً. انهم في لقاء اجتماعي، قالت لنفسها وهي في حالة الرثاء على النفس. رن جرس التلفون، لا بد ان يكون ادريان قد اجاب عليه اذ انه صاح بصوته من درجات السلم:

«روزالي: انه نيكول، صديقك!».

اطفأت عقب سكارتها بانفعال ونزلت. لقد اضطرت ان تغطي اذنها بيدها لتمنع الضوضاء الآتية من غرفة الدراسة.

«نيكول؟ كيف حالك؟ من اجاب؟ ادريان. كلا هو ليس برفقتي. انه يساعد بابا في تحضير كتابه. نعم، لقد خرجت مساء

امس. كلا لم يخبرني احد انك اتصلت تلفونياً. كلا، لا احد تعرفه انت. وبكل تأكيد ليس ادريان. انني لا اخرج لأي مكان معه. لن اخبرك يا نيكول. انه سر. انني متفرغة مساء الجمعة سأراك اذن».

وعندما اعادت السماعة شعرت بأدريان يلامس ذراعها وفوجئت حين وجدته الى جانبها. لقد كان يبتسم بتهكم:

«بكل تأكيد، انت لديك حياة حب معقدة يا انسة بارهام. لماذا تجعلين مواعيدك متضاربة؟ هل نسيت انني صديقك يوم السبت. انني اكره ان اشترك بك مع رجل اخر».

ادارت نفسها عنه وهي فاقدة الصبر:

«من الاحسن لك ان تعود الى ترحاب عائلتي».

امسك ذقنها بقليل من الخشونة واضطرها ان تنظر اليه:

«رثاء النفس لن يقودك الى شيء، يا روزالي، وكذلك الغيرة».

هزت نفسها بعيدة عنه وذهبت صاعدة درجات السلم.

«ارجعي الى هنا» قال بنبرة امرة. «لم انه حديثي معك بعد. لم آت الى القاعة لأتجسس على مطارحات الغرام بينك وبين صديقك».

وقفت على السلم ودمدمت:

«هل لك ان تغلق فمك!».

لكنه لم يتأثر بخشونة عباراتها.

«لقد ارسلت لك، متأسف لارجوك، ان تحضري القهوة، من لطفك».

اطلقت تنهدة استسلام ونزلت باتجاه القاعة، وهو يقول:

«تحتاجين اي معاونة؟».

«كلا، شكراً».

هز كتفه بعدم اهتمام وعاد الى غرفة الدراسة. هيأت القهوة ووضعت بعض البسكويت على طبق خزفي وحملت الصينية الى الاخرين. كانت جين تجلس الى الآلة الطابعة وادريان واقفاً الى جانبها، يوضح شيئاً وهي تنظر اليه بعينين واسعتين تتصفان

بالبراءة.

«مرحباً جين». قالت روزالي. «هل العمل شديد؟».

رفع ادريان احد حاجبيه وهو يحس بالغرض التهكمي من سؤالها. لكن جين اسرعت فاجابت ببراءة:

«انه ليس عملاً شاقاً يا روزالي، انه عمل سهل في الواقع».

اخذت سارة الصينية:

«شكراً يا حبيبتي. انه لطف منك ان تقومي بكل هذا. اننا نتحمس به تماماً».

فرحت، وطفح وجهها بالبشر من كلمات امها، وشعرت بعيني ادريان الرقيقتين تصوبان النظرات اليها.

«الا تشاركينا يا عزيزتي؟».

ترددت اولاً وهي تنظر بين جين وادريان ثم قالت:

«انني اعمل في الطابق الأعلى يا ماما شكراً في اي حال».

وتركت الغرفة.

عندما جاء نيكول الى البيت مساء الجمعة سلمها علبة من الشكولاته باهظة الثمن مع باقة ازهار.

«نيكول، كم جميل هذا. ولكن لماذا؟».

«لماذا اعطي لفتاتي الهدايا؟ انه رمز يبين مدى حبي لها؟».

فكرت روزالي بمرارة .

«لا شك ان اثارة الغيرة عند الرجل هي احسن طريقة لتجعله يجدد اهتمامه!».

كادت تقول افكارها هذه بصوت عال لولا القليل من التروي .

وقف نيكول بجانبها وسألها:

«اليس في نيتك ان تقولي لي شكراً؟».

«شكراً جزيلاً نيكول».

«لا تهينيني بمديح بارد. اشكريني بصورة اعتيادية».

وضعت الزهور باعتناء على منضدة القاعة ووضعت ذراعيها حول

عنقه. عانقته، لكنه لم يكتف. ادارها نحوه وعانقها بعاطفة اكبر. لم تقاوم لانها لا تريد ان تحزنه، لكنها لم تتمتع بعناقه هذا. امسك بها نحو الأسفل قليلاً ونظر في عينيها واستمرت في استسلامها. فتحت باب غرفة الدراسة:

«الا يوجد صف يمكن الاصطفاف به لخطب ود الآنسة؟».

رن صوت جاف في عرض القاعة.

«وان وجد مثل هذا الصف فانني اريد الانضمام اليه».

افترقا على الفور حين سماعهما الصوت واستدارت باضطراب وهي تجمع هدنيتها وتدير وجهها عن ادريان:

«تعال الى البهو يا نيكول. قد يكون عندنا قليل من الخصوصية فيه».

مشى ادريان ماراً بينهما باتجاه المطبخ واغلق الباب خلفه. ظلت هي ونيكول يتحدثان لبرهة من الوقت ثم لاحظت الزهور ملقاة على الكرسي بدون عناية. استأذنت من نيكول وحملتهم الى المطبخ لكنها توقفت على الباب متعجبة. كان ادريان يعبيء القهوة. التفت اليها وعيناه تتأججان: «ماذا تريدين؟ عودي الى عاشقك المتيم، لا حاجة لعرقلة جلسة العناق هذا المساء. انني اقوم بعملك نيابة».

ما الذي جعله على هذه الدرجة من الغضب؟

«لم احلم ان اخفف العمل عن كاهلك، لقد جئت فقط لاضع زهوري الجميلة في الماء».

وجدت مزهرية زجاجية ملأتها بالماء، ووضعت الزهور بها ووقف هو يراقب عملها بسكوت وبدون حركة حتى اكملت ما تريده. رفعت المزهرية بين يديها ومشت بها الى الباب. التفتت وهي تقول بهدوء:

«شكراً يا ادريان على حسن شعورك انني اقدر عملك هذا».

ابتسمت وحاولت ان تعبر عن امتنانها هذا في عينيها لكنه لم يهتم لحركتها. نظر الى وجهها المحاط بالزهور، ثم تعمد ادارة ظهره

واستمر يهيء القهوة. حين جاء يوم السبت كانت مليئة بالتنبؤ. تسبح فوق غيوم التنبؤ حتى حملتها بعيداً عن ازعاجاتها اليومية وانفعالاتها الآنية. ذهب والداها بعد الغداء في رحلة الى لندن فقضت وقتاً غير قليل بعد ذلك في حملة تنظيف وترتيب في البيت، قبل ان تهيء نفسها لاستقبال ادريان.

من المنتظر ان يصل حوالى الساعة الرابعة وتمنت ان يقضي معها ساعتين على الأقل. ارادت ان تجعله راضياً عنها فكانت حذرة في اختيارها للملابس. وقررت في النهاية ان تلبس اللون الأبيض. تنورة مع بلوزة متجانسين. ووضعت حول عنقها سلسلة رقيقة. رن جرس الباب، فسارعت نحوه وكانت تعابير استحسانه لمظهرها قد غطت على جميع جهودها.

«بساطة رائعة ذلك ما احبه».

علق وهو يخطو الى البيت. كان يلبس سترة خفيفة فوق قميص ذي قبة مفتوحة وبنطلوناً بلون مختلف. لقد بدا اكثر استعداداً، واكثر تماسكاً للهدوء واكثر مزاجاً مما رأته فيه في اي وقت مضى. حمل حقيبة الادوات في يده ووضع تحت ذراعه، رزمة صغيرة قال انها تحتوي على ادوات احتياطية.

«اتسمحين لي ان اذهب الى الطابق الثاني؟».

«نعم مع الشكر».

ذهب الى سلم البيت وهو يقطع درجتين درجتين في كل خطوة بينما ذهبت هي فوضعت الغلاية على النار وراحت ترتب الاواني على الصينية. سمعت ادريان يتحرك في الطابق الأعلى فشعرت برعشة من السعادة تخالج انفاسها.

وعندما حملت الصينية الى الطابق الأعلى وجدت اجزاء التلفزيون منتشرة على طول وعرض السجادة في غرفتها، نظرت بفزع على هذه الفوضى فنظر اليها وضحك لدهشتها.

«هل انت قلقة ان لا استطيع اعادته الى ما كان عليه. سأهز عصا سحرية فتقفز جميع هذه الأجزاء ببساطة لاماكنها».

ضحكت وظلت تراقبه معجبة بمهارته. لاحظ اعجابها في عينيها فتبسم:

«انك تعتقدين بمهارتي أليس كذلك؟».

«نعم».

التقط الادوات واحدة تلو الاخرى وهو يعيدها الى جهاز التلفزيون:

«اتعلمين؟ قد افكر في ان اجد لنفسي صديقة، على الاقل لغرض رفع المعنويات. ليس هناك اجمل من عينين مشرقتين تنظران باعجاب للرجل فتجعله يشعر انه في اعلى القمم». وهنا نظر اليها نظرة سريعة خاصة: «والآن من سأختار لمثل هذه الوظيفة، انك دائمة الانشغال بصديقين، اذن لا فائدة منك. اذن من؟ جين، انها تمثل اقتراحاً معقولاً. اظن انها متفرغة وذات قلب متسامح. قد اتجه اليها».

«شايك صار بارداً». وقفت ثم اتجهت نحو منضدة المكياج في غرفتها، التقطت مشطاً ثم حملقت في وجهها بالمرآة ورد الوجه عليها بحملقة اشد عبوساً وشدة. مررت المشط في شعرها ثم جلست قرب الشباك وراحت تنظر في ملاحظاتها.

«اتعملين حتى بعد ظهر السبت يا روزالي؟».

«ليس هناك اي شيء اخر سوى ان اعمل».

«أليس لوجودي اي ايحاء لأن تفكري افكاراً اوسع».

«ليس هناك ما يدعوه».

«لا بأس. انني اكاد اكمل العمل الآن. وبعد ذلك يمكنني ان اعطيك اهتمامي الكامل. فلا تشعرين انك متروكة».

«لقد جئت انت لترى جهاز التلفزيون وليس لتراني».

«ها قد رأيته الآن».

قال وهو يعيد ظهر التلفزيون على الجهاز بعد اكماله وهو يشد صماماته بقوة:

«اين هما والديك؟».

«ذهبا الى لندن لزيارة معرض هناك. لن يعودا حتى وقت متأخر من الليلة».

رفع جهاز التلفزيون ثم وضع اتجاهه بصورة صحيحة. ثم فتحه للعمل ورجع قليلاً الى الوراء وانتظر. كلاهما الآن يراقبان الشاشة، جاء الصوت عالياً فجأة. وعندما تحولت الشاشة السوداء الى صورة متحركة لتدل ان الجهاز الآن يعمل مرة ثانية اطبقت يديها وقالت:

«شكراً جزيلاً يا ادريان. كم جميل ان يعود للعمل مرة اخرى. لقد كان معطوباً لمدة من الزمن».

ادار زر الجهاز قليلاً واخذ يوجهه الى مختلف القنوات ثم ثبت مختلف ازرار الجهاز للحصول على صورة دقيقة على الشاشة.

«هل تريدين ان تشاهدي الآن؟».

هزت رأسها نفياً لذا فقد ادار الزر للتوقف. جمع ادواته واعادها الى حقيبته. وبينما راح يشرب شايه سألته كم هي مدانة له للادوات الاحتياطية التي اشتراها.

«لا شيء. هي على حسابي».

«ولكن. . .».

رفض اعتراضها:

«يجب ان اقدم لك ولوالديك شيئاً عن حسن الضيافة واللطف الجماعي. لذلك فانني اشتريت الادوات».

وقف على قدميه ونفض يديه من الغبار.

«لم تشكريني باسلوب مناسب بعد».

«لكنك تعرف انني اشكرك من صميم قلبي. انني ممتنة لذلك».

نظر اليها لبضع لحظات، ثم حمل صندوق ادواته. حملقت فيه وهي تشعر بقلبها يكاد يهبط امامها.

«هل انت ذاهب الآن؟».

«نعم افكر في الذهاب. لماذا؟ الا تريدينني ان اذهب؟».

هزت رأسها مرة اخرى:

«ولكن لو بقيت ماذا عسى ان تعملي؟».

ليس لديها اي جواب. ليس لديها اي شيء تقدمه له غير الشيء الذي من الواضح انه لا يريده. انزل حقيبته على الأرض واقترب منها حيث وقف امامها.

«لدي اقتراح. والداك في الخارج وانت بلا هدف الآن كما يبدو. هل ترغبين ان تعودي معي لساعة او ساعتين حيث ستسمعين شيئاً لم اسمعه انا من قبل؟ لقد شارفت على اكمال صنع جهاز الاستلام المجسم الذي حدثتك عنه. يمكننا ان نشارك في ولادته فاذا عمل، فانك لن تعتبريني ماهراً فقط بل امهر الماهرين».

لم تجد طوال حياتها صعوبة كالتي وجدتها الآن في محاولتها لاخفاء مشاعرها. ومع ذلك فانها نجحت اذ عندما استطاعت السيطرة على ذبذبات صوتها لتعطي الموافقة على عرض ادريان علق هو بقول:

«تبدين متحمسة للفكرة نوعاً ما».

«قلت لك ارغب ان آتي. ولكن ماذا ستعمل بشأن الطعام؟ الساعة الخامسة الآن؟».

«سنفكر في ذلك بعدئذ».

اخرجت سترة صوفية حمراء زاهية ووجدت حقيبتها اليدوية واصبحت جاهزة للخروج، سارا بسيارة ادريان في شوارع تسبح بضوء الشمس وكان منظر السيارات الواقفة على طول الرصيف يعكس جو بداية عطلة الأسبوع. اذن فهو يسمح لي بدخول شقته للمرة الثانية، فكرت بنفسها وهي تعانق الدفء الذي تحسه حول قلبها وكأنه طفل عزيز.

«ادريان! هل رتبت غرفتك؟ ام لا زالت اللخبطة كالسابق».

«في الواقع؟ لا. بل هي اسوأ من قبل. لا يمكنك صنع جهاز كهربائي معقد، ويكون المكان مرتباً. هل خاب املك؟».

هزت رأسها:

اعادت الصورة الى مكانها.

«في اية حال» قال وهو يبحث في حقيبة ادواته. «ما سر اهتمامك بقضية الحنان من الآخرين وكأنه حقك المطلق في الحصول عليه؟ الم يحدث ان فكرت ان تمنحي انت مثل هذا الحنان؟».

«لا افهم ما الذي تقصده».

«كلا لن تفهمي. فان اعتقادك المتراكم بأن والديك لم يحباك في الماضي بل ولم يريدا ان تأتي للحياة افقد التوازن عندك لدرجة جعلتك لا تفهمين ما اتحدث عنه».

ذهب الى غرفة نومه ثم عاد الى غرفة الاستقبال ماسكاً في ذراعيه صندوق خشبي مطلي باللون البني اللماع:

«ها هو. انحني اجلالاً امام هذه القطعة الفنية لقد اخذت مني عدداً من الاشهر لاكمالها».

نظرت الى الصندوق بحذر بينها راح هو ينزله.

«انه رائع المنظر».

«كيف تعرفين جماله قبل ان تسمعيه».

«انه يبدو جميلاً، وهذه نصف المعركة».

ادار مفتاح الجهاز نحو الفتح فامسكت هي بانفاسها.

«انه يعمل. . . انه يعمل بالفعل».

استمعا معاً.

«انها سيمفونية تشايكوفسكي. هل تحبين هذا النوع من الموسيقى».

انه في غاية الحبور. لقد استحوذت الموسيقى على ذهنيهما، وانصتت بانفعال عاطفي. نظر احدهما للآخر وانطلقت عيناه تلتهم تقاطيع وجهها.

«هل تعلم انك تشبه امك».

نظرت الى الأعلى نحوه.

«لا شيء يجعلني خائبة الأمل».

قالت وكأنها تعني ابعد من جوابها. وحال ما دخلت غرفة الجلوس ذهبت مباشرة الى المنضدة والتقطت صورة امه مرة اخرى. انها صورة مكبرة اخذت في حديقة. راحت تتبحر فيها لمدة طويلة حتى جاء هو فوقف الى جانبها.

«الآن، لو حدث وكانت هذه صورتي، فهل اراك تقفين هكذا وتحملقين بمثل هذا الشوق الواضح؟».

ان جوابها على ذلك مهيأ على طرف لسانها. لكنها ضحكت وقالت له:

«انت؟ كيف لك ان تمتلك جميع الحب والحنان الموجودين عند شخصية هذه الصورة؟».

«اوه، حسناً. اذا كان كل ما تريدينه هو الحب والحنان لم لا تتزوجين صديقك، فبدون شك سيقوم باشباع شوقك لهما».

«ولكنني لست عازمة على الزواج. . .».

«استمري فانني انصت».

«انني غير مستعدة للزواج بعد» قالت وهي تنظر اليه نظرة ساخرة. «ولكن عندما اكون مستعدة هل تقبل ان تكون شاهد العروس؟».

مشى قليلاً في الغرفة وهو يقول:

«يسرني ان اكون شاهدك على الأقل اشارك بفرحة زفافك حيث انني لن اتوقع ان احصل على زفاف لنفسي».

لا زالت روزالي تنظر في الصورة.

«ادريان، هل تعتقد انك ستكون في يوم ما ممتلء الجسم ومزاج الراحة نفسه البادي في صورة امك؟».

«انه اسلوب دبلوماسي جداً تصفين به حالة والدي! كلا سأحافظ على رشاقتي. اولاً، انا كثير الحركة والنشاط. ثانياً سوف لن اتزوج لذلك لن تكون لدي زوجة تزيد في اطعامي».

«ماذا؟ مع شعري الذي هو اشبه بشعر الجرذ ام بتقاطيع وجهي غير القابلة للوصف؟ والذي جميلة. اما انا فلا».

«كلا انت لست جميلة، لكن فيك شيء، صفة لا يمكن تعريفها. انها العينان، كما اظن. فيهما دفء وتقبل عندما ينبا في عينيك تعبير ينم عن الرجاء والطلب... شيء من هذا القبيل».

ارتفعت الموسيقى الى سلم عال لتجر حركة السمفونية الى نهاية بهيجة حاسمة. وبعد برهة من الوقت راح ادريان يعمل مرة اخرى في جهاز الراديو وانحنت روزالي الى جانبه تراقب عمله. نظرت الى يديه واصابعه الرقيقة السريعة. ثم رفعت عينيها الى جانب وجهه وشعرت برغبة ان تلمسه. نظر اليها في تلك اللحظة فلاحظ تعابير وجهها. توقف قليلاً ثم وضع مفك البراغي والمأخذ الكهربائي على الأرض. ادار نفسه الى جهتها ثم دفع يديه تحت كتفيها. ادارها قليلا حتى صارت ملقاة بين ذراعيه وعانقها بقوة شديدة. وعندما انفصلا بعد قليل ظلت مسمرة من الانفعال والنشوة نظر الى عينيها ثم تجهم وجهه، يبدو ان ما رآه قد بعث قلقاً عميقاً في نفسه التقط مفك البراغي والمأخذ الكهربائي واستمر في العمل.

«انني متأسف» قال وهو يتنفس عميقاً «لكن ذلك ما اردته».

وضعت يديها على خديها كان قلبها يدق بسرعة لدرجة مخيفة، فتجد صعوبة في التنفس:

«ما اردت ذلك، ادريان لم ارد ذلك!».

٤ - لا مستقبل للحب معي!

لكن كلماته التالية جعلت الأرض تهتز تحت قدميها:

«كيف تمتعين نفسك هذه الأيام مع ذلك الرجل المتزوج؟».

«اي رجل متزوج؟».

«واليس ماسون، بالطبع».

«واليس متزوج؟».

وجهها الذي اختلف لونه اخبره بالجواب الذي كان يريده:

«لا بد ان تكون مخطئاً لو كان متزوجاً لاخبرني».

«اذن فانت فعلاً لا تعرفين ذلك؟ قد يكون من الأحسن لك ان لا تعلمي. لقد اصبحت معروفة في الكلية كما تعلمين بسبب مرافقتك له».

اذن لهذا السبب كان الناس يحملقون بها وتذكرت الشكوك التي دبت في افكارها في البداية حول واليس. عرفت الآن ان لتلك الشكوك ما يبررها:

«لكن لماذا لم يخبرني؟».

«اما ان يكون قد ظنك تعرفين ولا تهتمين لذلك. او انه ظنك لا تعرفين فقرر ان لا يخبرك حتى لا تتركيه».

«ولكن اين زوجته؟».

«تركته قبل تسعة اشهر. اتريدين ان تعرفي لماذا؟ لانه لا يستطيع ان يترك النساء بدون مضايقة».

«لكنه مهذب وتصرف تصرفاً لائقاً عندما كنا معاً. انني لا اصدق ذلك».

«انه يعرف كيف يتصرف، باعتناء معك انه حاذق في ذلك».

نظر اليها ووضع العمل جانباً:

«لديه طفلة. عمرها حوالي سبع سنوات. طفلة صغيرة لطيفة».

فغرت فاها باستغراب:

«تعني ان الأم تركتها بهذه الطريقة؟».

«نعم بهذه الطريقة. هناك امهات اسوأ مما لديك، اليس كذلك؟».

مدت يدها الى حقيبتها واخرجت سيكارة ووضعتها بين شفتيها:

«اتسمح لي ان ادخن؟».

نظر الى الأعلى نحوها بسرعة وقال:

«نعم، لا مانع».

تجاهلته وراحت تبحث عن علبة الكبريت ووجدتها. اشعلت عود كبريت وكان هو في وسط الغرفة ثم سحبت نفساً طويلاً. اختطف السيكارة من بين شفتيها ورماها بعيداً. شددت على قبضة يدها لكنها كانت الخاسرة. امسكت بحقيبتها واخرجت العلبة وقبل ان تسحب سيكارة اخرى اطبق يده على يدها.

لمعت عيناه:

«كم كلفة هذه السكائر؟».

اخبرته، وهي تفكر لماذا يريد ان يعرف؟ بحث في جيبه بين النقود وحسب المبلغ بالضبط ووضعه في حقيبتها. وقبل ان تفهم قصده، اختطف العلبة من بين اصابعها ووضعها في جيب بنطلونه.

«انها سكائري». اعترضت بعصبية. «اعدها الي!».

«متأسف» كانت ابتسامته قد خذلتها. «انها ملكي الآن لقد دفعت ثمنها».

«ولكنك لا تدخن».

«وكذلك انت رغم محاولات ماسون لافسادك».

شعرت باهانة شديدة بسبب عمله هذا قامت الى جانبه ومدت يدها بعصبية فجرح اصبعه جلدها. ظهرت دموع الانحدار في مقلتيها:

«لا يمكنك ان تفرض ارادتك علي هكذا».

«لا يمكنني؟ سأفرض ارادتي عليك بطريقة اخرى بعد دقيقة ان لم تحسني تصرفك».

«انك فظيع» قالت بسرعة، «وكأنني بدأت اكرهك!».

مشى الى مسافة في الغرفة وهز كتفيه العريضتين بعدم اكتراث:

«ليكن ما يكن. كنت اعلم منذ وقت طويل اما ان تكرهيني او تحبيني. انها كارثة فعلاً لو بدأت تحبينني اذ ليس لذلك مستقبل. لا مستقبل لمثل هذا الحب ابداً».

«الآن هل تأخذني الى البيت؟».

نظر الى ساعته:

«آخذك الى البيت؟ لا، لا زال الوقت مبكراً. ثم انني مشغول الآن».

رمت حقيبتها الى الأرض وراحت تمشي في الغرفة.

«بحق السماء! هلا جلست».

جلست. لكنها تحتاج الى شيء ما لاشغال فكرها القلق. وقفت على قدميها وسارت نحو رف الكتب وامسكت بكتاب وجلست وظهرها نحوه. فتحت الكتاب وبدأت تبكي. لم تستطع ان ترى الكلمات بسبب دموعها وبحثت في حقيبتها عن منديل. نظر اليها ثم قرأ عنوان الكتاب ثم ابتسم:

«لا بد انك اصبحت شاطرة اذا كنت تفهمين هذا. هل لديك دراسات خاصة تريدين بها التوافق معنا نحن المتخصصين بالرياضيات؟». وبعد ان صفت عيناها رأت ان الكتاب الذي اختارته هو كتاب دراسي متخصص بالرياضيات. فابتسمت من بين

دموعها.
«امسحي عينيك الآن». اعطاها منديله.
«والا فانني سأضطر الى ان اعلق الكتاب هذا على حبل نشر الغسيل لكي يجف. وستظن صاحبة البيت انني جننت».
ثم وقف على قدميه وقدم يده لها:
«هل يمكن ان نكون اصدقاء مرة اخرى».
وضعت يدها في يده وهزت رأسها بالموافقة.
«حسناً، الآن سأعمل بعض القهوة».
شربا بصمت ودي ثم اخذها الى بيتها لكنه لم يدخل البيت.
«هل تمتعت بهذا المساء يا روزالي؟ دعي جانباً بعض اختلافات الرأي؟».
هزت رأسها بالتأييد.
«تصبحين على خير الآن».
راقبته حتى دخل الى سيارته منطلقاً.
كان اليوم التالي هو الاثنين وقد شعرت بالبغضاء من لقائها الأول مع واليس ماسون. وفي وقت الغداء قررت ان تنهي درسها مبكراً فتذهب الى مطعم هيئة التدريس قبل ان يذهب هو. انضمت الى طابور الواقفين على حاجز الخدمة الذاتية في المطعم وبينما هي تنتظر دورها لأخذ وجبتها نظرت حولها فرأت والدها مع ادريان يتناولان الطعام مع بقية اعضاء قسم العلوم. عندما دفعت مبلغ الطعام حملت صينيتها ووقفت امام طاولة والدها. نظر ادريان اليها وابتسم:

«مرحباً روزالي. اتريدين ان تجلسي قربي؟».
استدارت حول الطاولة وجلست على الكرسي الفارغ فساعدها على افراغ الاطباق من الصينية. وكان ابوها ينظر اليها. بملء الأمل، فقالت هي:
«مرحباً، بابا».

«واهلاً ايتها الغريبة، لم تسنح الفرصة لي دائماً برفقتك وقت الغداء. فانت دائماً مشغولة مع الآخرين».
نظرت الى ادريان، وقال هو:
«لقد قررت ان تغير هواءها. ان الجو اكثر راحة في هذا الجانب من المطعم». ضحك الآخرون وهم ينظرون اليها باعجاب وتكهن. جاء واليس الى المطعم وعيناه تدوران على الطاولات فرآها. أصبح ادريان منتبهاً وراح يستغرق بالحديث معها بعد ان ادار نصف كرسيه نحوها. وكانت تجيب عليه بصورة لا ارادية بدون ان تستمتع جيداً لما يتحدث عنه. ادارت نظرها حول الغرفة ورأت واليس ينظر نحوها ولا زال ادريان يتكلم وهي تبتسم اليه بمظهر الامتنان.
وعندما انهوا وجبتهم نهضوا جميعاً وذهب ادريان الى الباب معها حيث مشى على طول الرواق، وذراعه على كتفها. مر الآخرون في الرواق بسرعة بما في ذلك والدها بينما كان ادريان يسير معها بخطوات رتيبة وذراعه على كتفها. وبينما هما متجهان نحو غرفة هيئة التدريس اخبرها ان جهاز الاستلام المجسم يسبب له بعض المتاعب الآن لكنه سيتمكن من اصلاحه. وقال انه سيضع مكبرات صوت في صناديق خشبية انيقة تصنع له الآن في قسم البناء. كانت هناك نظرات موجهة نحوهما، لكنه لم يعبأ بذلك.
ظلت روزالي تتساءل مع نفسها، لماذا يعمل ذلك؟ لا بد انها طريقته التي اراد بها ان تضع حداً للتساؤلات حول واليس ماسون وهي. مر واليس في الرواق ايضاً وتعداهما متجهم الوجه وينظر اليهما بصورة مكشوفة. وعندما تركها ادريان قال لها:
«هل ستكونين في البيت هذا المساء عندما آتي الى بيتكم يا روزالي؟».
اخبرته انها ستكون هناك.
«سأراك اذن».
رفع يده وغادر في طريقه.

في ذلك المساء، سمعته يصل الى البيت فتسارعت نبضات قلبها. سأل ادريان والدها.

«هل روزالي تعمل الآن؟».

ارادت ان تركض نحوه وترحب به. تمنت ان تمر ذراعاه حولها تماماً كما فعل السبت الماضي. ارادت . . . توقفت فجأة عن التفكير عندما جابهها الواقع: «لا مستقبل في ذلك»، كان قد قال لها: «لا مستقبل من ذلك مطلقاً».

هدأت قليلاً، تمالكت نفسها وواصلت عملها تستطيع ان تسمع اصواتهم ترتفع بالضحك فتمنت لو انضمت اليهم، ان شعورها بالوحدة والانعزال يزداد تجسماً وهي تسمع التوافق والانسجام على اكمل وجه في غرفة الدراسة.

وبعد مرور وقت غير قليل من المساء، سمعت صوت والدها ينادي من السلم:

«هل لك ان تحضري القهوة يا روزالي؟».

قامت بتهيئة القهوة وحملت الصينية الى غرفة الدراسة. سألها ادريان:

«الا تتناولين قهوتك معنا يا روزالي؟».

ترددت لكنه قام من كرسيه.

«تعالي واجلسي هنا».

وبينما هممت بالرفض مشى نحوها وامسك بيدها وشدها لتجلس وجلس الى جانبها على حافة الكرسي.

«خذ لك كرسيا اخر يا ادريان» قال والدها «لا يمكن ان ترتاح هكذا!».

ناولها قهوتها وقطعة من البسكويت. استمر يتحدث الى والديها اللذين اخذا ينظران اليها بأعين التكهن والحدس كما توقعت هي. لا فائدة من مثل ذلك! ارادت ان تقول لهما: لا شيء بيننا . . . اسألا ادريان. وكانت تسمع احاديثهم بنصف انتباه ومعظمها حول الكتاب الذي يعملان على كتابته. امتدت ذراع ادريان الى ظهر الكرسي الذي تجلس عليه وكانت تحس اصابعه تلامس شعرها بين الآونة والاخرى. وفكرت، الا يعرف اي انطباع يعطيه للشخصين الجالسين قبالته؟ الا يدرك ما في قلبيهما من تفكير وامل؟

«سأقوم بغسل هذه الأواني».

قالت وهي تجمع الأواني عن الطاولة.

همت روزالي بالقيام من الكرسي لكن ادريان سحبها الى الجلوس:

«ابقي هنا» همس في اذنها. وقف فرانكلين وهو يطلق قحة خفيفة وكأنه يصفي بها حنجرته:

«اسمحا لي، فانني ذاهب لأساعد سارة».

وتبعها نحو المطبخ.

نظرت الى ادريان وسألته بخشونة:

«ادريان، لماذا . . .».

«هل تعرفين؟».

اجاب وهو يتغاضى عن سؤالها واضعاً ذراعه حول كتفها:

«ان صاحب البيت الذي اسكنه يعتقد ان صديقتي فاتنة تلك هي كلمته. اما زوجته فتريد ان تعرف متى سنتزوج».

ضحكت بعدم ارتياح:

«وماذا قلت لها؟».

«قلت اننا لم نقرر ذلك بعد. انها تظن اننا يمكن ان نكون زوجين صالحين. لأن كلينا بمهنة التدريس».

قام من كرسيه ومشى في الغرفة قليلاً:

«لم اوضح لها الأمر. تركتها باحلامها الحلوة عن الحب فلا ضرر في ذلك».

تسمرت ابتسامتها وهي تسأله:

«ولماذا ستقول بعد بضعة اشهر من الزمن عندما لم نتقدم بشيء في

هذا المجال».

«اوه. اننا قد تشاجرنا وانفصلنا عن بعض. مسألة بسيطة».

تفحص وجهها لكنها تعمدت ان تجعل وجهها مبهماً، بلا انفعال او تعبير معين. نظرت الى الساعة امامها ونهضت:

«يجب ان اعود الى العمل. طاب مساؤك يا ادريان».

وذهبت الى الباب.

«روزالي!».

«نعم».

«عودي الى هنا».

مشت ببطء في الغرفة ووقفت امامه. اطبق كفيه حول وجهها ونظر بعمق في عينيها ثم عانقها:

«طاب مساؤك».

همس لها. شعرت بساقيها ضعيفتين وخافت ان لا توصلاها الى الباب. وعندما وصلت فتحاه والداها ودخلا. نظرا اليها معاً ثم احدهما للاخر بارتياح واضح.

تجنبت روزالي واليس مرة اخرى في اليوم التالي تناولت الغداء مع والدها وادريان الذي تصرف معها مرة اخرى وكأنهما محبان. تناول واليس غداءه لوحده ولكن ازداد تجهمه كلما ازداد ادريان في تمثيله دور الصديق المقرب لها. فمشى معها الى غرفة هيئة التدريس وظلا خارج الغرفة لبرهة من الوقت. جاء واليس في الرواق ونظر الى ساعته عندما اقترب منها.

«انسة بارهام».

قال بنبرة تنم عن قوة وشدة:

«ينبغي ان اراك في مكتبي من فضلك. في الحال».

غضب ادريان من نبرته وقال لها بعد ان تركه يذهب:

«انه يريد اعادة علاقته معك، يا روزالي يجب ان تذهبي. يؤسفني ذلك، اتمنى لو امكن ان اذهب اليه معك هل ستكونين في

البيت هذا المساء؟».

اومأت برأسها بالايجاب وتركته. تصلبت اصابعها من الخوف وهي تدق على باب غرفة واليس، اي جواب يجب ان تعطي الى السؤال الذي تعرف انه سيسألها اياه؟

«تفضلي، روزالي، اجلسي».

اشار الى كرسي وراح ينظر ببعض الأوراق في مكتبه، ثم اعتدل في جلسته ونظر اليها نظرة استفسار:

«روزالي، انني قلق قولي لي، لماذا تتجنبينني؟».

امسكت حقيبتها اليدوية.

«انها مسألة صعبة جداً يا واليس. انني لا اعرف كيف اقولها لك. ولكن حسناً، لقد علمت بانك متزوج».

خرجت الكلمة منها فأعطتها راحة من الاحراج.

«لكنني ظننت انك تعرفين. هل سمعت من الغير؟».

هزت رأسها بانفعال:

«لم اكن اعرف بهذه الحقيقة حتى الاسبوع الماضي. لو كنت اعرف ذلك لما خرجت معك. انني متأسفة».

«ولكن ما الذي في ذلك؟ اننا معجبان احدنا بالأخر. السنا كذلك؟ لقد هجرتني زوجتي. ذهبت طوعاً لانها فضلت رجلاً اخر. وسوف نحصل على الطلاق في الوقت المناسب».

استغربت روزالي:

«لكنني علمت ان هنالك سبباً اخر لتركك . . . انه . . .».

«بسبب اهتمامي بنساء اخريات؟». هزت رأسها بالايجاب.

«ظننت ذلك. انها تهمة توجه ضدي بدون اساس من الصحة. لقد تركتني لأنها وقعت في حب رجل اخر. تركتني مع طفلة لا تعتني بها».

نظر الى طاولته واضاف: «وانني من اجلها اود لصداقتنا ان تستمر. فانها طفلة صغيرة غير سعيدة. هي تسألني كل يوم متى

ستعود امها وكل يوم علي ان اقول لها لا اعرف». كانت عيناه ثقيلتين عندما رفعهما:

«فكرت انه ربما تتعرفان على بعضكما فتأتين لملء الفراغ الموجود في حياتها».

شعرت بالاحراج. تألمت لوضع الطفلة، انها تعرف ما يعنيه الحرمان من الحب وتمنت ان تحاول مواساتها. لكنها كيف تواصل صداقتها مع واليس؟ ماذا سيقول الاخرون.

«ارجوك يا روزالي تعالي الى البيت وقابليها؟».

لاحظ واليس ترددها. اخذ يدها بين يديه:

«ارجوك يا روزالي. سأقدر ذلك دائماً». سحبت يدها منه وقالت:

«حسناً، سآتي لاراها ولكن ذلك كل ما اعد به».

«متى؟ هذا المساء».

«لا بأس».

«سآتي اليك حوالى الساعة السابعة. يمكنك ان تريها قبل ان تأوي الى فراشها. سأنتظر في المكان الذي اتفقنا عليه. شكراً يا روزالي».

احست بانحدار معنوي وهي ترتدي ملابسها للخروج، وازداد قلقها مع اقتراب موعد وصول ادريان. تمنت ان لا تتصادف معه ولكن بينما هي تنزل السلم رن جرس الباب فتحت الباب.

«مرحبا، روزالي».

«اهلا ادريان».

تجنبت يده التي امتدت نحوها، فنادت على والديها:

«انني ذاهبة».

مرت لتتعداه لكنه امسك بذراعها.

«ظننت انك باقية هذا المساء». حاولت ان تسحب ذراعها.

«غيرت رأيي».

«هل هو نيكول؟».

هزت رأسها بالنفي انتزعت ذراعها من قبضته.

«من اذن؟ اخبريني؟».

ركضت الى الباب الخارجي واغلقته خلفها وركضت في الطريق. سمعت ادريان يمشي امام الباب، فنظرت من خلف كتفها ورأته ينظر من الباب الخارجي وعرفت انه سيرى سيارة واليس.

انحنى واليس في عرض السيارة وفتح الباب:

«ظللت افكر انك قد تغيرين رأيك، لكنني في غاية السعادة انك لم تفعلي ذلك».

راحا يتجاذبان الحديث حول الطفلة وحرمانها من حنان الأم.

اتجهت السيارة في ممر خاص لبيت منعزل. نزلت من السيارة ساعدها على النزول واشار اليها لتتفضل الى داخل البيت وتركها لبرهة من الوقت. وبعد قليل عاد مع طفلة جميلة ذات خصلات شعر صفراء ناعمة، وعينين زرقاوين عميقتين تنظر بقلق واضطراب.

«متى ستعود ماما الى البيت؟».

سألت وهي تدير وجهها الى سترته. نظر واليس الى روزالي بتعاسة وهز رأسه. وبعد برهة ظهرت جارته فقدمها واليس:

«هذه السيدة سميث انها امرأة طيبة. وترافق ميلاني الى فراشها».

ثم احنت جسمها الى الطفلة التي تقف الآن على الأرض وقالت لها:

«مرحباً، انا اسمي روزالي وانت ميلاني. اليس جميلاً ان اسمينا متشابهان».

اخذ وجه ميلاني يهدأ بصورة تدريجية:

«ميلاني هل تعلمين ان بابا يعمل في الكلية الفنية؟» هزت رأسها بالايجاب. «حسناً سأقول لك شيئاً عجيباً. ابي ايضاً يعمل هناك». اتسعت عيناها. «وهناك شيء اخر ابي عنده غرفة خاصة به مثل والدك».

نظرت ميلاني الى ابيها وابتسمت واقلعت عن التعلق بملابسه:
«هل والدك رئيس قسم ايضاً؟».
هزت روزالي رأسها بالايجاب.
«هل تذهبين الى الكلية دائماً يا ميلاني؟».
«بعض الاحيان. انا اذهب لحفلات عيد رأس السنة والميلاد».
وبعد ذلك صعدت روزالي مع الطفلة الى غرفتها حيث رأت جميع العابها. وعندما ارادت الطفلة النوم وغادرت الجارة السيدة سميث الغرفة سألت الطفلة:
«هل ستأتين مرة اخرى وتلعبي معي؟».
كادت دموع روزالي تنزل على خديها للحرمان الذي تعاني منه هذه الطفلة. انحنت فقبلتها:
«انني احب ان ازورك والعب معك مرة اخرى».
تنهدت الطفلة واغلقت عينيها وهي تقول:
«تصبحين على خير يا روزالي».
«تصبحين على خير ميلاني! نوماً هادئاً».
غادرت الغرفة فكان واليس ينتظرها:
«انك رائعة كيف اشكرك».
«لم اقم الا بالقليل».
«لقد عملت اكثر مما تتصورين. انها اول ليلة منذ اسابيع تأوي الى فراشها بدون ضجيج».
اخذ يدها وهو يقول:
«تعالي انزلي وتناولي قليلاً من الشراب معي قبل ان تعود السيدة سميث».
ذهبا الى البهو واعجبت روزالي بأثاث المنزل والتصاميم الداخلية له. استلمت كأس الشراب.
«لنشرب نخب. ماذا تقولين؟».
رفعت روزالي كأسها:

«الى عودة ام ميلاني».
لمحة من الفتور تسربت لوجه واليس. لكنه اجاب:
«نخب عودة زوجتي العزيزة».
ثم عرض على روزالي ان يخرج بها الى العشاء.
«لكنني لا بد ان اعود الى البيت في الحال لدي عمل يجب تحضيره».
«عمل. يا عزيزتي لا تقلقي من ذلك. رئيس قسمك لن يحاسبك لانك لم تؤدِ عملك مرة من المرات». ووضع ذراعه حول خصرها «كما اني احب هذا العضو من اعضاء هيئة التدريس». سحبها نحوه وكادت تتحسس بانفاسه على عنقها. سحبت نفسها منه.
«انني لا انظر للعلاقة هكذا يا واليس، شكراً، اريد ان اذهب من فضلك. لا اريد تناول العشاء في الخارج لقد اخذت وجبة طعامي قبل ان آتي».
«دعيني اخذك لنشرب شيئاً في مكان ما على الأقل».
فكرت بوجود ادريان في البيت وبعينيه المستعدتين لتوجيه التهم اليها، لقد اكثرت من احباط اماله قالت لنفسها.
«حسناً، سأرضى بالشراب، ثم ارجع في الحال».
وعندما عادت السيدة سميث اخذ واليس روزالي الى مشرب قال انه لا احد يعرفهما فيه. تناولا بضعة كؤوس من الشراب ثم نظرت روزالي الى ساعتها. ان الوقت متأخر اكثر مما تصورت، وقفت وقالت:
«ارجوك واليس يجب ان اذهب».
كان موقف السيارات حيث تقف سيارته مظلماً وحالما اغلقت باب السيارة سحبها اليه بخشونة.
«عانقيني قبل ان تذهب يا عزيزتي. ارجوك».
كان صوته خشناً وكانت رائحة تنفسه غير مسرة. اغمضت عينيها وبدأت تفهم الشيء الذي كان يتحدث عنه ادريان.

«مرة واحدة فقط؟».

دمدمت تريد ادخال شيء من الفكاهة في الحديث. كانت قبالته اكثر توازناً هذه المرة.

«هذه فقط البداية» همس في اذنها. وبعد وصولهم الى نهاية الطريق خف تأثير الشراب عليه.

«وارجوك لا تقولي انني جعلتك تتحاشين زيارة ابنتي».

قال وهو يقبل اصابع يدها «وارجوك قولي انك ستأتين ثانية».

ولأجل الطفلة ايضاً وعدت ان تأتي مرة اخرى، بينما كانت على احرّ من الجمر لمغادرة السيارة والعودة الى البيت. تركته وانطلق بسيارته. كانت سيارة ادريان لا زالت واقفة امام البيت كادت ضربات قلبها تخنقها عندما سمعت والدتها تصيح:

«روزالي، تعالي الى غرفة الدراسة يا عزيزتي قبل ان تذهبي الى الطابق الأعلى».

فتحت غرفة الدراسة، نظرت امها لها وتجهم وجهها:

«هل تحسين بتعب يا عزيزتي؟».

رفع ادريان رأسه عن الأوراق التي كان يتفحصها وانتشرت ابتسامة ساخرة على وجهه وشعرت روزالي ان بامكانها لطم وجهه.

«نعم تعبة قليلاً. هل تريدينني لأي شيء؟».

«فقط لأقول ان نيكول اتصل هاتفياً. اراد ان يعرف اذا كان بامكانه ان يأتي غداً مساء. قلت له ان بامكانه ذلك، ولكن اذا كنت عازمة على الخروج غداً يمكنك ابلاغه ذلك».

«سأخرج غداً. سأذهب الى ماريون، لأننا سنخطط الى سفرنا معاً في نصف السنة».

«حسناً. . . هل عندكما فكرة اين ستذهبان؟».

«الى يورك شاير».

«يورك شاير؟ ألست ذاهباً الى هناك يا ادريان؟ أليس هو المكان الذي تعيش فيه والدتك؟».

هز رأسه بالتأكيد. ابتسم فرانكلين. قد ترين ادريان هناك. لكن ادريان استبعد ذلك على الفور:

«ذلك من غير المحتمل ابداً. ان يورك شاير بلد كبير».

انسحبت روزالي من الغرفة، ادارت رقم تلفون نيكول:

«مرحباً عزيزي» تكلمت بصوت عال «متأسفة، لانني سأكون خارج البيت غداً. سيسرني ان اراك يوم الثلاثاء».

تبادلا الحديث لبضع دقائق ثم اغلقت السماعة. عادت الى غرفتها وراحت تعمل لبعض الوقت. وعندما نادى والدها:

«ان ادريان مغادر يا روزالي» لم تجب وعندما نادى مرة اخرى سمعته يقول:

«استطيع ان اجعلها تسمع. هل تريد ان تصعد اليها؟».

«كلا بحق السماء».

قال ادريان بصوت عال. «ولماذا يجب علي ان اعمل ذلك. لا يعني كثيراً سواء اجابت ام لم تجب».

تمنى لوالديها ليلة سعيدة وانطلق بسيارته.

JOHN LEE

٥ - لا اريدك في بيتي

في المساء الذي جاء به نيكول، جلب ادريان جين معه. كانت روزالي في غرفتها تعمل وتنتظر قدوم نيكول عندما سمعت والدها يرحب بهما. كان صوت جين العالي وضحكتها السريعة تغطيان تماماً على نبرات ادريان الرقيقة الهادئة. لقد ضحك من شيء قالته جين وهم يتنقلون ليجلسوا في غرفة الدراسة. وعندما رن جرس الباب مرة اخرى سارعت روزالي الى الباب ورحبت بنيكول بحرارة اثارت الاستغراب حتى لدى نفسها. انها تعرف ان هذه الحرارة هي رد فعل، لكن نيكول تصورها صحيحة. امسك بها ورفعها قليلاً حتى غرقت بالضحك وهي ترجوه ان يضعها على الأرض. ثم عانقها.

مد والدها رأسه من باب غرفة الدراسة:

«ما هذه الضوضاء؟».

سأل بمزاج مرح ثم رآهما ينفصلان. ثم المح بشيء جعلهما يضحكان.

عرفت روزالي انه يقول لها ما كان قد رآه، فأحست بشعور لذيذ في الانتقام. اخذت يد نيكول وسارا نحو البهو، حيث عانقها هناك مرة اخرى.

«اتعرفين انك فتاة عجيبة. مرة تجعلينني اظن انك متيمة بحبي ومرة اخرى تجعلينني اشك ولا تحسين حتى بوجودي».

انسحبت قليلاً:

«ومتأسفة يا نيكول لا استطيع حتى انا ان افسر ذلك».

تحدثنا بعد ذلك عن عمله ونقل الاحاديث عن مختلف اعضاء الهيئة التدريسية في مدرستها السابقة. وبعد فترة من الوقت فتحت الباب واطل والدها منه.

«هل نسبب لكما اي ازعاج؟ لا اظن ذلك؟».

قال وهو يبتسم اليهما.

«لدي انسة شابة يا نيكول، تود التعرف عليك». تقدم نيكول اليها.

«هذه يا نيكول سكرتيرتي الماهرة. جين هيلوود. اقدم يا جين السيد ديتن الذي كنا نتحدث عنه قبل قليل».

ثم نظر الى نيكول:

«سمعناك وانت تدخل الى البيت قبل قليل. وعندما ذكرنا اسمك لجين ظنت انها سمعت بالاسم من قبل».

كان نيكول مشغولاً ينظر بالعينين الواسعتين الصافيتين البريئتين كبراءة الاطفال. وينظر الى شعرها الطويل المنساب على كتفيها والى جسمها.

ابتسمت له ببراءة.

«اعتقد سيد ديتن ان والدي احد تلامذتك. اذا كنت السيد ديتن الذي يأخذ الصفوف الخاصة بتعليم اللغة الالمانية والفرنسية في مركز تعليم الكبار في المدينة».

لا زال نيكول يمسك يدها منذ ان تصافحا. فارخى يده وتركها مع قليل من الاضطراب:

«نعم انا بالضبط، انني اذكر السيد هيلوود. رجل قصير نوعاً ما، ويلبس النظارات وشعره اسود».

«نعم ذلك هو والدي، سوف يسره ان يعرف انني قابلتك».

اشار نيكول الى الاريكة الوثيرة في البهو وقال لها ان تتفضل بالجلوس وسألها عن والدها. راحت روزالي الى المطبخ لتعد القهوة

بانتظار الكلام

فمرت قرب ادريان الذي لم يتحرك من مكانه رغم انه رآها ذاهبة، فاضطرت ان تحتك به. رمته بنظرة جافة لكنه كتمثال لا يجيب او حتى يتحرك. وبينما هي تهيء القهوة ابتسمت بحنق.

جاء ادريان الى باب المطبخ:

«سوف اساعدك».

«كلا، شكراً».

تمنت ان تكون البرودة في صوتها كافية لان تثنيه عما يريده.

«استطيع ان اتدبر الأمور عد الى صديقتك».

القى عليها نظرة خشنة:

«في الوقت الحاضر، ابدو زائداً عن الحاجة كما تبدين انت الآن في ذلك البهو، لذلك فانني امد لك يد العون».

كانت نبرته لا تسمح باي نقاش. وضع اواني الشاي على الصينية وهيأ السكر والبسكويت.

«ادريان!».

قالت لكنه رفض ان ينظر الى عينيها.

«ارجوك هل تسمع ما اريد قوله لك؟».

«يمكنك التكلم ولكن هذا لا يعني انني انصت لما تقولينه».

وبعد ان ادارت انتباهه وضعت يدها على يده فوقف هادئاً متسمراً:

«هل تصدقني اذا قلت انني استأنفت صداقتي مع والبس فقط من اجل طفلته؟ انها طفلة غير سعيدة تتحرق شوقاً لامها، واعرف كيف تعاني».

سحب نفسه من ملامستها وكأنها تلسعه:

«انت تعرفين بشعورها؟ تظنين انك تعرفين مع والديك الرائعين اللذين لديك؟ انك تتحدثين بهراء لا يصدق!».

كانت نبرته عنيفة جداً بحيث ارتدت بشدة واغلقت عينيها لانها لم تعد تتحمل شدة الغضب الذي بدا على وجهه:

«دعيني اقول لك شيئاً روزالي. انك تجرحين مشاعري بقساوة واشعر انني لا يمكنني ان اثق بك مرة اخرى. لا اعرف لماذا تظنين انني اهتم بكل ما تعملينه. ليس هناك اي الزام منك ان تفسري لي اعمالك. ان قصصك واعني بهذه الكلمة كل معناها، اشياء من شأنك وليست من شأني. من الآن فصاعداً حياتنا كخطين متوازيين يمتدان الى ما لا نهاية ولكن لن يلتقيا. هل هذا واضح؟».

اصبح غضبها على مستواه:

«وما الذي يجعلك تظن انني اردت لحياتينا ان تلتقيا في يوم ما؟ ما فائدة صديق تكون ثقته بهذا الضعف بحيث اذا قام واحد بعمل طيب لاجل طفلة صغيرة، تتهدم ثقة ذلك الصديق كقطعة من الثلج».

لم يتأثر بكلماتها حتى انها لم تتمكن من السيطرة على دموعها.

«ان ضميري صاف وذلك كل ما يهمني. فاذا حكمت علي بدون دليل حقيقي كغيرك».

قالت وهي تبكي...

«فان صداقتك لا تستحق الحفاظ عليها بغض النظر عن اي شيء اخر».

كانت قساوة نبرته قد المتها اشد الألم. ذهبت الى الطابق الثاني لتعدل شعرها وتضع مزيداً من احمر الشفاه. ثم التحقت بالآخرين في البهو. كانت جين جالسة على كرسي منفصل بينما جلس نيكول على الاريكة. وتمنت ان لا يلاحظ اثار دموعها. وجلس ادريان مرة اخرى الى كرسيه ولاحظ صديقته مع صديق روزالي، وكأنه يشاهد مسرحية خاصة. كان نيكول يكتب عنوان جين في دفتر مذكراته:

«قولي لوالدك انني سآتي لاراه. اذا وجد العمل البيتي بهذه الصعوبة فانه سيسرني ان اعطيه مساعدات اضافية».

وفي الايام التالية، عادت روزالي تتناول الغداء مع والبس. لم يكن لديها اي خيار اخر. لم تتمكن من تناوله مع ادريان ذلك لانها

كلما دخلت المطعم كان يدير رأسه عمداً. واصبحت كثيرة التردد على بيت والبس فصارتعي وميلاني صديقتين حميمتين حتى اخذت تحس وكأنها تحتل مكان امها. وكان والبس يعانقها كلما غادرت البيت ومما زاد في قلقها انها ترى اهتمامه قد تعدى الحدود التي بنتها بينهما. لاحظت قدراً من فقدان الصبر لديه حينما لا تتجاوب معه تماماً.

لقد وصلت الشقة بين ادريان وبينها درجة من السعة لم تصلها من قبل حتى لم يتكلم اليها. وعندما تمر به في الرواق كان يتظاهر بعدم رؤيتها. وشعرت ان قلبها يتقطع. لكنها قالت لنفسها ان لا تكون حمقاء. لقد حذرها اكثر من مرة.

«انني متحصن ضد المرأة» كان يقول لها. «انني اجعل جميع النساء خارج حياتي. نقطة». وكان يحسن تنفيذ ذلك.

وبعد مرور بضعة ايام وجدت ادريان وحده في غرفة هيئة التدريس. كان جالساً يقرأ فنظر الى الاعلى قليلاً عندما دخلت. وضعت اشياءها على الطاولة ومشت نحوه.

«ادريان؟».

نظر اليها وهي تقف الى جانبه:

«نعم؟».

«فكرت لو انك تستطيع مساعدتي».

تحرك بفارغ صبر لكنها استمرت:

«ان الاجهزة الكهربائية في الغرفة اربعة عشر قد انطفأت ولا تعمل. هل يمكنك فحصها».

«اي اجهزة؟».

لا زال لم ينظر اليها.

«مسجل جهاز الفيديو. كنت استعمله بكثرة في الفترة الاخيرة ليساعدني في محاضراتي لكنه الآن لا يعمل بصورة صحيحة. انه حديث العهد لا بد ان يكون العطب بسيطاً».

«وما الذي يجعلك تعتقدين انه بامكاني اكتشاف العطب فيه. انني

لست مهندس الكترون. اسألي احد موظفي الهندسة الكهربائية ليفحصه».

«سألت لكنهم يقولون انهم لا يستطيعون التخلي عن اي احد الآن».

اضطرب صوتها بالخيبة والاحباط فنظر هو الى الاعلى اخيراً. هز كتفيه بعدم اكتراث ثم قال:

«اذن عليك الاتصال بالمجهزين، اليس كذلك؟ تلك ليست مشكلتي. اذهبي الى شخص اخر لمساعدتك».

وعندما ذهبت، كانت تحس ان عينيه ثقيلتان بصورة غير طبيعية، وان جسمه بكامله متعب. ثم ادارت نفسها وهي في منتصف الغرفة:

«هل انت بصحة جيدة يا ادريان؟ يبدو عليك الشحوب».

«آه»، هز كتفيه باضطراب واضح، «لا شيء، بعض البرد، وعلى اذا اردت ان تعرفي فان لدي التهاب في الحنجرة».

وكان نبرة صوته تقول لها ما عليك بالآخرين اهتمي بشؤونك.

هنا جاء فرد اخر من اعضاء الهيئة التدريسية، مما جعلها تتوقف عن الحديث وتنصرف الى عملها. وفي اليوم التالي ذهبت الى صفها في غرفة ١٤ وكان الطلاب قد ازالوا الاثاث من وسط الغرفة وراحوا يجلسون على الارض. وقد جلب بعضهم مقاعد صغيرة للجلوس على الارض. وبعضهم استعمل الجرائد، بينما استلقى اخرون على طول اجسامهم وكأنهم يأخذون حماماً شمسياً. وحالما ظهرت لهم روزالي جلسوا جميعاً ونظموا انفسهم. اخرجت مقعد الجلوس الهوائي من حقيبتها المكتبية وكانت تهم في نفخ الهواء فيه عندما عرض احد الطلبة ان يقوم بذلك لها. سلمته المقعد الهوائي واعاده لها منتفخاً تماماً:

«لن يخذلني عندما اجلس عليه اليس كذلك؟».

ضحك الجميع. ثم قالت:

«هل توافقون على اسلوبي هذا في ادارة المحاضرات. الا تفضلون الجلوس على الكراسي في الاسلوب التقليدي؟».

اكدوا لها انهم يحبون ان تكون محاضراتهم هكذا.

«اذن، سنستمر في ذلك ما دام مسموح لنا».

فتح الباب فاسرعت لتطل من الباب مذعورة دخل ادريان وانفجر الصف بالضحك. وضعت روزالي يدها على رأسها وامسكته لتغطي اضطرابها وخديها المحمرتين محاولة استعادة هدوئها. وعندما سأل ادريان، بقليل من الاستغراب، ما هي النكتة، اخبروه:

«لقد ظننت انك مدير الكلية جئت للتفتيش وانها سوف تؤنب بسبب الجلوس على الأرض».

«همم! يبدو ان عادتها الوصول الى قاع الاشياء».

ضحك الطلاب من كلماته. وانبهم باسلوب مرح:

«انني لا اقصد ما تتصورونه».

وهنا ضحك الجميع ايضاً. قالت روزالي لهم بحرص وحذر:

«اذا ما استمريتم هكذا فان مجلس الادارة سيهرع الى هنا وليس مدير الكلية فحسب».

هنا هدأ الصف قليلاً، فقال ادريان:

«هل انت على ما يرام، آنسة بارهام. اريد ان القي نظرة على هذه الأجهزة المتوقفة عن العمل. لا بد انها تعطلت؟».

قامت من مقعدهاومشت اليه:

«ذلك لطف منك يا دكتور كرافورد».

ثم اوضحت ما الذي حدث عندما حاولت استعمال المعدات واعطته كتيب التعليمات وتركته ينظر فيه. وبعد ذلك عادت الى الجلوس على الأرض وبدأت تلقي محاضرتها.

«الموضوع الذي لدي للمناقشة اليوم هو دور التلفزيون في العالم الحديث. وبينما تجمعون افكاركم استعداداً للتحدث في هذا

الموضوع، اعرض لكم بعضاً من افكاري للنظر فيها».

اخذت نفساً عميقاً ثم قالت:

«لقد حدث لي سبب وجيه مؤخراً للتحسس باهمية التلفزيون في حياتي. فقد تعطل جهاز التلفزيون الذي لدي. ثم تم تصليحه لي من قبل صديق جيد عزيز».

حدثت قهقهة فالتفت الجميع نحو ادريان الا روزالي. انحنى ادريان الى الأرض لالتقاط مفك البراغي الذي سقط من يده على الأرض.

استمرت في الحديث:

«لم اقدر قيمته الحقيقية الا عندما بقيت فترة من الزمن بدونه. ان فقدان القدرة على النظر الى التلفزيون اشبه بوجود شباك اغلق بالاسمنت. شباك تطل منه على جميع انحاء العالم بمجرد ادارة الزر، وعندما لم يعد هذا الشباك موجوداً، يضيق افق المرء الى اربعة جدران الغرفة والبيوت المقابلة. وحتى ذلك الحين، يجب ان اعترف، لم اكن ادرك اهمية التلفزيون في حياتنا الشخصية، اهمية اريدكم ان تفحصوها وكيف اثرت على السكان ليس فقط في العالم المتمدن بل وحتى في اكثر الشعوب بدائية. والتلفزيون نفسه قد ارانا ان مثل هذه الشعوب موجودة حتى في يومنا هذا. اريدكم ان تناقشوا ايضاً كيف تمكن التلفزيون ان يخترق الحدود، حدود اللغة وكيف مهد الطريق لمزيد من التفاهم بين الأمم».

واستمرت المناقشة لبعض الوقت بينما روزالي تقوم بدور المتراس بالنقاش تدخل تعليقاً هنا واخر من هناك وتعيد النقاش الى الطريق الصحيح كلما تشعب الحديث، وكانت تعطي رأيها بين الأونة والاخرى فاذا اختلف عن اراء بعض الطلاب سألتهم ان يوضحوا لماذا يختلفون معها. وبذلك فقد اشترك كل طالب في النقاش.

كان لوجوده معهم وطأة على فكرها. لم تستطع ان تخلص نفسها من الشعور بانه ينصت لكل كلمة وكل شيء في الصف. واخيراً

مشى نحوها فسحبت نفسها لتقف امامه. خداها محمرتان من حرارة المناقشة ورغم انها حاولت عرض مظهر الحذر كانت عيناها تبرقان بفرح لأنه بجانبها. نظرت اليه فرأت علامات شوق مترمت على وجهه فراح قلبها يدق بدون رحمة.

«معذرة على مقاطعتك يا آنسة بارهام لقد اكتشفت ما هو العطب في هذا الجهاز».

تبعت خطواته الى جهاز الفيديو وراح هو يوضح عمله. وبينما فهمت هي في البداية توضيحاته، صار حديثه اكثر فنية ولم تتمكن من مواصلة الفهم عليه. لا بد انه عرف ذلك من ردها. قال لها:

«انت تفهمين بالطبع كل ما اقوله لك الآن».

نظراتها كانت تبحث بشوق في وجهه ورأت الانحناءة الحادة لشفتيه. اجابت وهي تبتسم:

«ولكن بالطبع، دكتور كرافورد، انني افهم كل كلمة».

انها تعرف ان الصف بكامله ينظر اليهما ويستطيع ان يسمع كل كلمة. قفز احد الطلاب على قدميه وقال:

«فسر لي ذلك يا سيدي. فانني افهم كل شيء عن المسجلات».

«وكذلك انا».

قال آخر. ثم احاط نصف الطلاب بأدريان يرجون منه ان يوضح لهم بالضبط ما هو العطب.

نظر الى روزالي باعتذار:

«ارجو المعذرة، هل تسمحين؟».

هزت رأسها بالموافقة:

«قل انه جزء من الدراسات العامة».

اجابت مستسلمة في اعطاء الصف له، ولاحظت اي مدرس جيد هو، كيف اوضح للطلبة بكل صبر مستعيراً التعابير الفنية التي عرفها اغلبهم. وبعد ذلك نظر الى ساعته:

«الآن يجب ان اقدم اعتذاري الخالص للآنسة بارهام لانني كدت

افسد كل محاضرتها. يجب الا اكرر مثل هذه الزيارة قبل ان تضطر الى ضربي بمقعدها الهوائي».

ضحك الجميع بينما راح هو يجمع ادواته وبدأ الطلاب يخرجون من الصف فقال ادريان لها:

«لقد عرفت ما هو العطب في الجهاز يا آنسة بارهام، سأرسل المعلومات الى قسم الكهرباء، وسيرسلون احد المصلحين لاصلاحه. لن يأخذ الأمر منهم وقتاً طويلاً الآن».

«ذلك لطف منك يا دكتور كرافورد».

اصبح الصف فارغاً الآن، فقالت:

«ادريان».

توقف وهو في طريقه الى الباب تفحصت وجهه:

«لا زلت تبدو بصحة غير جيدة. كيف حنجرتك؟».

اعطى نصف ابتسامة:

«لماذا انت قلقة لهذه الدرجة؟ انها ليست مشكلتك. ولكن قولك صحيح لست على ما يرام. الحنجرة لا زالت ملتهبة ولدي بعض الالم».

«الا يجب مراجعة الطبيب الآن؟».

«اوه، ايتها السيدات! كلا، لا يجب ان اراجع الطبيب. الاسبوع المقبل هو عطلة نصف السنة كما تعرفين وانا ذاهب الى الشمال في نهاية الأسبوع. والدتي ستعطيني العناية التي احتاجها».

ثم ذهب في طريقه لكنه التفت اليها وقال:

«ولكن شكراً لاهتمامك يا روزالي اني اقدر ذلك».

كان ذلك اليوم الجمعة حيث اغلقت الكلية لعطلة نصف السنة وقد صادفت مع عطلة البنوك الربيعية. غادر والدا روزالي لقضاء عطلة في اسكتلندا وهي ستلتقي بماريون يوم الأحد صباحاً لتذهبا الى يورك شاير. ورغم انها مشتاقة جداً لعطلة تغير فيها روتينها اليومي لكنها تكره فكرة قضاء أيام قبل أن ترى ادريان مرة أخرى. لم تره

لتودعه. لقد ذهب الى أهله مبكراً وأحست بافتقاده قال واليس انه سيأخذ ميلاني الى امه لقضاء اسبوع. واتصل نيكول تلفونياً ليتمنى لها سفرة سعيدة. ولم يقل لها متى سيتصل بها مرة أخرى وأحست ببعض الألم لأنه ينساها بهذه السهولة، ذلك يجرح شعورها فقط.

استلقت في فراشها تلك الليلة وراحت تفكر كيف تتمكن من اقتطاع ادريان من قلبها. ان حبها له متين وقوي الجذور بحيث عرفت ان ذلك يتطلب عملية جراحية كبرى لانتزاعه بعيداً عن قلبها. تذكرت لهفته وعناقه لها، وأخذت تفكر لماذا جعلها تدخل حياته لفترة من الوقت. هل تصورت انه حمل مشاعر عميقة نحوها؟ أدارت رأسها على الوسادة وجعلت تقنع نفسها انها بين ذراعي ادريان ثم غطت في سباتها.

نهضت في اليوم التالي قلقة غير مرتاحة. ثم رن التلفون بعد الفطور مباشرة:

«آسفة لازعاجك، ولكن هل عندكم الآنسة بارهام؟».

«روزالي بارهام تتكلم».

«شكراً لك على ذلك. لا أعرف ما اذا تذكرتني. لكنني السيدة فيلدز صاحبة المسكن الذي يعيش فيه الدكتور كرافورد».

«نعم بالطبع سيدة فيلدز، أتذكرك جيداً».

«لقد سرني انني تمكنت من ايجادك يا عزيزتي وجدت اسمك في دليل التلفون وأدرت الرقم غير متأكدة انه رقمك لأقول لك ان الدكتور كرافورد صحته متوعكة. انه في فراشه وقد جئت بالطبيب له رغم انه قال بأنه لا يريد طبيباً. وقال الطبيب ان لديه فيروس وهذا الفيروس قد وصل الى رئتيه وعنده درجة حرارة وسعال شديد. المهم يا عزيزتي، لا يمكنني ان أبقى معتنية به اذ لدي ما يشغلني وأنت الفتاة الوحيدة التي أعرف انك صديقة له وزرته سابقاً. ان امه تعيش في مكان بعيد جداً من هنا. الذي افكر به الآن هو هل بامكانك ان تأتي لتعتني به؟».

«بالطبع، يا سيدة فيلدز. سآتي حال ما ارتب اموري هنا. هل يعرف انك ستتصلين بي؟».

«كلا، لا يعرف يا عزيزتي. فهو يقول دائماً انه لا يريد احداً. لكنه بكل صراحة يبدو مريضاً جداً. لا بد ان يكون أحد بجانبه فقد تسوء حالته».

«حسناً. سأكون في طريقي في الحال».

وعندما أقفلت السيدة فيلدز التلفون، اتصلت روزالي بماريون:

«انني متأسفة جداً».

قالت لها:

«لن أتمكن من مرافقتك غداً لسفرتنا».

انزعجت ماريون:

«ولكن هل يجب ان تكوني أنت؟».

أصرت في محاولة اقناعها. لقد كان السؤال صعباً:

«حسناً، انه يساعد والدي منذ مدة في تأليف هذا الكتاب كما وأن عمله الآخر يجعلني ملزمة ادبياً ان أعتني به فقد نلام بصورة جزئية لمرضه».

انها تعرف ان تلك ليست الحقيقة لكن ماريون بدت وكأنها قبلت التحليل.

«سأذهب لوحدي لأزور بعض الأقارب هناك. لم أرهم منذ سنين».

اعتذرت روزالي مرة أخرى. عندما وصلت روزالي الى بيت ادريان سألت السيدة فيلدز ما اذا أخبرته بأنها قادمة له فأجابت بالنفي.

«كلا، يا عزيزتي، لقد كان نائماً ولم أرغب في ايقاظه. اصعدي اليه. واذا احتجت أي شيء انزلي واخبريني واذا لم أجده فان زوجي يأتي به».

صعدت روزالي ووضعت أشياءها في غرفة الجلوس. وفتحت

غرفة نوم ادريان ودخلت، كان في البداية نائماً. لا بد انها ايقظته حيث فتح عينيه ونظر. لقد بدا اسوأ مما تصورت.

«روزالي؟ ماذا تعملين هنا؟».

حتى صوته كان ضعيفاً.

«جئت لأعتني بك».

تحرك بامتعاض وعدم ارتياح:

«لا أحتاج لمن يعتني بي. يمكنك العودة الى بيتك».

«سأذهب عندما تتحسن صحتك يا ادريان».

«اذهبي الآن، لا اريدك هنا».

عضت على شفتها ومشت الى الباب ثم بدأ يسعل وعندما انتهى من السعال استلقى الى الخلف متعباً. جلست على سريره ووضعت يدها على يده:

«هل تريد أي شيء؟».

هز رأسه بالنفي. «لماذا جئت».

«السيدة فيلدز طلبت مني».

أدار رأسه بعيداً.

«هل تريد أي طعام؟ أو أي شراب؟».

استدار على جانبه وحركته وحدها طلبت منها ان تتحرك. خرجت من الغرفة، واتجهت الى المطبخ. الأواني غير المغسولة وبقايا الطعام وزجاجة حليب فارغة منتصبة كلها على مائدة المطبخ. مغلاة الشاي مستعملة لكنها تركت وأوراق الشاي لا زالت فيها. لقد تطلب العمل وقتاً طويلاً لاعادة بعض النظام الى المطبخ. ثم بدأت التنظيف. مستعملة قطع الملابس القديمة ومسحوق التنظيف حتى لمعت أرض المكان. نظفت الشبابيك والمغاسل. في منتصف النهار زحفت مرة اخرى الى غرفة ادريان. كان مستيقظاً فراقبها عند دخولها. ابتسمت له:

«والآن هل تتناول بعض الحليب؟».

«اذا أردت ذلك مني».

ان عدم اهتمامه بتناول أي شيء زاد من قلقها عليه.

«هل تريده حاراً ام بارداً؟».

«دافئاً».

سخنت بعض الحليب وأخذته له وساعدته ليتخذ موضع نصف جالس وسلمته الكوب. شربه ببطء وسكوت وأخذ معه بعض الحبوب التي وصفها الطبيب له. كانت تراقبه طوال الوقت فأغمض عينيه كأنه يريد أن لا تراه.

«الا تحس ببعض التحسن؟».

«ليس كثيراً».

أعطاها الكوب . . . وانزلق تحت غطاء الفراش.

«هل تريد أن تنام مرة أخرى يا ادريان؟».

«نعم».

لذا فقد تركته وبدأت العمل في غرفة الجلوس ثم سمعته يسعل فغادرت بسرعة الى غرفته. جلست على سريره واعطته علبة من أوراق الكلينكس. كان يفتح فاه لمزيد من التنفس وتضع ذراعها حوله كأنه طفل يحتاج الى تهدئة. وكان رأسه ينام على صدرها. وهي تضغطه نحوها قليلا. لقد ظل هكذا لبرهة غير قليلة كأنه لا يرغب التحرك ثم انزلته الى وسادته.

«أرجو المعذرة يا روزالي».

همس كلماته همساً وهو ينظر اليها.

«حسناً يا حبيبي. لا مانع لدي من ذلك. انني فقط أتمنى ان أتمكن من عمل شيء يساعدك».

وهنا أحست بما قالته فرفعت يدها الى فمها. هل لاحظ ذلك؟

لقد أعطى ابتسامة ضعيفة ومد يده، وعندما أخذ يدها قال:

«هل تقولين لجميع مرضاك الرجال حبيبي، أيتها الممرضة؟».

«كلا» همست بالجواب «فقط الخاصين منهم».

«اذن، فأنا خاص، ايتها الممرضة؟».

«جداً». قالت وأغلقت الباب بهدوء وذهبت. ذهبت الى المطبخ وقررت ان تشتري بعض المواد. ثم فكرت أن تعود الى بيتها. قرأت صاحبة البيت تصعد الى المطبخ.

«هل لديك مانع يا سيدة فيلدز ان اذهب الى بيتنا هذه الليلة. فكرت لو استطيع ان أنام هنا على الأريكة في غرفة جلوس ادريان».

«أنت تعلمين يا عزيزتي سيسرني بقاؤك هنا. فقد يطلب شيئاً ولا أسمع أنا، لا مانع عندي ابداً. ألا تخبرين أهلك؟».

«اه، انهم في اسكتلندا. فهذا لا يهم سأبحث عن شراشف وأغطية في خزانة ملابس ادريان».

«اذا عجزت عن ايجاد شيء أخبريني وساعطيك بعضاً مما لدي. هل تريدين استعمال سريري المتنقل؟».

«كلا، الأريكة تكفي مع الشكر».

«ستحتاجين الى ثوب للنوم، استطيع اعارتك قميصاً ليس جميلاً ولكن لا بأس به. انت لست في شهر عسلك؟».

اذن فنحن مخطوبين هكذا!! فكرت، مع نفسها. ساعدت ادريان الى غرفة الحمام وبينما هو هناك أعادت ترتيب فراشه وبحثت في دولاب ملابسه عن شراشف للفراش فوجدت وسادة وقطعتين من الشراشف وغطاء. ونقلتهم الى غرفة الجلوس قبل أن يراها وعندما عاد قال لها:

«من الأفضل الآن ان تذهبي الى بيتك. لا حاجة بك ان تأتي غداً».

هزت رأسها بينما ساعدته على النهوض الى فراشه لكنها لم تجب على قوله. ورغم انعدام الراحة في النوم ملفوفة الجسم على الأريكة فانها نامت بصورة جيدة.

وعندما استيقظ ادريان استغرب اذ رآها هناك.

«قلت لك ان لا تأتي اليوم».

«وهل قلت ذلك؟».

تظاهرت بالبراءة.

«أليس هذا مزعجاً لأنني لم اسمعك. الآن عن الطعام ماذا تحب للفطور؟ بيضة؟».

«أوه. اذا أردت ان تعملي لي بيضة فاعملي؟».

عملت له بيضة مقلية بدون زيت وحمصت بعض الخبز وحملته اليه في غرفته. ثم تركت الغرفة.

«اين ذاهبة أنت؟».

«لأتناول فطوري في المطبخ».

«لماذا لم تأخذي فطورك قبل ان تغادري بيتك؟».

شيء فيها منعها من التكلم. لا تقولي له اين بقيت الليالي الثلاث الماضية.

«كلا.. كنت مستعجلة لأعود اليك بسرعة».

تحول ادريان أثناء النهار الى انسان عصبي. كان يناديها لتجلب له الأوراق والكتب وانتظرت طلباته بصبر بلا تذمر بدون ان تحصل على كلمة شكر واحدة. وعندما هدأ في فراشه اخيراً، عادت الى فراشها متأخرة في الليل. وقبل ان تطفيء النور في غرفته قال لها:

«يمكنك ان تذهبي الى بيتك الآن ولا تعودي غداً. هل تسمعين؟».

لم تجب على قوله. لكنها تمنت له نوماً هادئاً وتركته.

٦ - ارتعاشة دائمة في القلب

عندما فتحت روزالي باب غرفة ادريان في صباح اليوم التالي وجدته يمشي في عرض الغرفة لابساً ثوب نومه وتوقف فجأة عن المشي حين رآها:

«ماذا تعملين هنا في هذه الساعة؟ هل وصلت لتوك؟».

«حسناً.. انا...».

«ظننت اني قلت لك ان لا تعودي؟».

«ولكن ادريان، انا...» رأت ان من الواجب اخباره بالحقيقة وان تغامر بتحمل النتائج.

«كنت هنا طوال الوقت. نمت هنا».

كان غضبه شديداً فأحست بلفحة حرارته على وجهها:

«انت ماذا؟ نمت؟».

«على الاريكة. انا... انا وجدت بعض الشراشف والاغطية. لا يمكنني ان اتركك يا ادريان. لم تكن بحالة تسمح لي ان اتركك. كنت مريضاً».

«ولكنني لم اكن مريضاً لتلك الدرجة. انظري؟». رفع يديه. «انني اقف على قدمي وامشي».

«لم تكن تعلم درجة مرضك في حينه يا ادريان. لم تكن بصحة تسمح لك بذلك. لذلك اضطررت ان ابقى، لربما احتجت اي شيء في الليل».

ضاقت عيناه قليلاً وطفت تعابير السخرية على وجهه:

«بالطبع كان علي ان اتذكر. فانك حاضرة لقضاء الليل في المساعدة كما يشهد على ذلك بلا شك واليس ماسون».

كان التلميح بكلماته قد بعث فيها الغضب والألم. بعد كل الذي عملته له. كيف يكلمها بهذه اللهجة.

«هل تريد ان تجعلني اكرهك؟ اني اتعجب!».

قالت من خلال اسنان متشددة من الغضب.

«انك تقتربين من النجاح في ذلك!».

استمر في حديثه غير عابئ:

«اذن، فقد غامرت بسمعتك مرة اخرى...».

«سمعة؟». اطلقت الكلمة وكأنها بصقتها. «واستناداً لأقوالك، لم تبق لدي واحدة حتى اغامر بها. اما سمعتك فانني اؤكد لك بانها ستبقى كاملة غير منقوصة لانني سأقول لكل فرد، كان ذلك اقتراحي واختياري. ثم من سيعلم انني بقيت؟».

«مالكة البيت، في بادئ الأمر.

الآن بعد ان اكتشفت بانني لست رديئاً كما كنت تتصورين... هل لك من فضلك، ان تذهبي؟».

«ولكن يجب ان اهيء فطورك وارتب...».

بدا وجهه في غاية الانفعال:

«اقول لك ان تخرجي. اي امرأة انت. هل يجب علي ان ارميك خارج البيت؟ أليس لديك كرامة؟».

«نعم لدي كرامة، ولكن لدي ايضاً عاطفة والأخيرة اقوى من الأولى».

سحب نفسه نحوها:

«ليس هناك غير طريقة واحدة للتعامل معك. ان اعلمك انني رجل عملي. نظر اليها بقوة: «اتفهمين. انني طبيعي الآن. وانت ايتها الحلوة امرأة شابة فاتنة. اذا لم تخرجي من غرفة نومي وانا لا ازال

مسيطراً على الموقف واكثر من ذلك على نفسي»، امتدت يداه الى ذقنها وفاتني اقول بوضوح بانني لن اكون مسرورة عما سيحدث بيننا في المستقبل القريب».

ومع ذلك فقد ظلت قوية في موقفها. لاحظت وجهه الشاحب وعينيه المنهكتين، فلم تستطع ان تتركه. امتدت ذراعاه حول جسمها واقترب منها ثم تغير موقفه تماماً وراح خده يضغط على شعرها وبدا متمسكاً بها كأنه يريد ان يستقي حياة وقوة لجسمه. خارت قواه قليلاً وهو يتكىء عليها.

«اوه. ايها الرب. انني متأسف يا روزالي ارجو المعذرة».

ظلا واقفين لبرهة يمسك احدهما الآخر، ثم اقتادته ليجلس على سريره فوضع رأسه في يديه. همست اليه:

«هل لا زلت تريدني ان اذهب؟».

«نعم، لا زلت اريدك ان تذهبي».

وبدون كلمة اخرى غادرت المكان بهدوء. اعادت ترتيب غرفة الجلوس جمعت فراش النوم ثم التقطت اشياءها الشخصية وذهبت الى الطابق الاسفل. رنت الجرس على السيدة فليدز:

«انني ذاهبة الآن. ادريان لا يريدني ان ابقى اكثر الآن. انه يقول ان صحته قد تحسنت الآن».

بدون تحفظ انطلقت تأوهة من حنجرتها وترقرقت الدموع في عينيها.

«انه لن يدعني ابقى يا سيدة فيلدز. قال لي ان اخرج في الحال!».

حصلت روزالي على رقم تلفون والدة ادريان من السيدة فليدز ورجعت الى بيتها وهي تفكر في كلمات التهدئة التي قالتها لها حول كونه فاقد الوعي ولا يعني كلماته بسبب مرضه. واول عمل قامت به هو ادارة قرص التلفون تطلب والدته. كيف ستكون تلك الامرأة التي رأت صورتها عن كثب؟ هل ستغتاظ من تدخل امرأة شابة لم تسمع حتى عنها فضلاً عن انها لم تقابلها؟ هل ستكون طيبة تجاهها ام

ستعاملها باعتبارها انثى يجب ان يطردها ابنها في اقرب فرصة؟ وفي الحال جاء صوت رجل ذو لهجة شمالية واضحة. اوضحت للرجل انها تريد ان تتكلم الى جارتهم واعطت اسمها وفي الحال جاء صوت هادىء ذو نبرة ريفية شمالية لطيفة.

«السيدة كرافورد تتكلم».

«اوه، سيدة كرافورد. انك لا تعرفينني. اسمي روزالي بارهام».

«نعم سمعت عنك يا عزيزتي. لا بد انك الفتاة التي ذكرها ولدي في رسائله لي».

تسابق قلبها بفرح شديد.

«ارجو المعذرة يا سيدة كرافورد. لكن ادريان كان مريضاً لبرهة من الزمن. كنت اعتني به وقد تحسنت صحته الآن لكنه ليس بكامل صحته. ولا يمكن ان يترك لوحده».

اخذت نفساً عميقاً ثم واصلت الحديث: «كنت سأستمر في العناية به لكنه قال لي انه لا يريدني ان اقوم بذلك».

«نعم افهم ما تقولين يا عزيزتي. فاذن تريدينني ان آتي واخذ مكانك في العناية به؟».

كان صوت روزالي متلهفاً وهي تجيب: «هل هذا ممكن، يا سيدة كرافورد؟ هل بامكانك ذلك؟ انني لم اخبره انني سأتصل بك. لانني اعتقد بانه لن يوافق».

«انني متأكدة من ذلك يا عزيزتي. هل تعرف بذلك صاحبة البيت؟».

«لقد اعطتني رقم تلفونك وتقول بأنها ستعيرك سريراً من عندها».

بعد ذلك قالت السيدة كرافورد:

«سأضع بضعة اشياء في حقيبتي وسأكون في طريقي قبل ان تقفلي التلفون يا عزيزتي احس بواجب شكرك على كل الذي عملته من اجله. لا اعتقد انك حصلت على كلمة شكر منه».

«لم اعمل ذلك من اجل الشكر يا سيدة كرافورد. عملت ذلك لانه هو يحتاج الى ذلك».

«انني افهم قصدك يا عزيزتي. مع السلامة. لا تقلقي بعد الآن، ساكون في طريقي في الحال».

قضت روزالي الاسبوع تفكر كيف حال ادريان الآن. لم تكن ترغب ان تتصل تلفونياً خصوصاً وان المسألة لم تعد تخصها الآن. لا حق لها بذلك وهي غير ملزمة ان تتصل به. لقد قال لها بكلمات واضحة ما هو انطباعه عنها. خصوصاً الآن حيث علمت باذاته لها مثل ما اذاها زملاؤه بسبب صداقتها مع والبس. عاد والداها الى البيت واقيت استغرابها عندما اخبرتهم كيف قضت عطلتها. عادت الى العمل منقبضة النفس وكأنها لم تغير شيئاً من روتين حياتها. لم يعد ادريان للعمل بالطبع. استلم والدها رسالة تقول ان الطبيب نصحه باسبوع آخر للنقاهة، قبل ان يستعيد صحته للعمل. وكان والبس يرافقها كل يوم للغداء. لقد علمت ان ليس لديها ما تفقده بعد الآن لو اقترن اسمه باسمها. وفي يوم الثلاثاء في الاسبوع الأول من العودة للكلية كانت تعمل في غرفة نومها عندما رن التلفون. فكرت انه قد يكون نيكول لانها لم تسمع منه منذ ما قبل عطلة نصف السنة. قد يكون معتقداً بأنها سافرت في رحلتها.

لكنه لم يكن نيكول:

«روزالي؟».

قفز قلبها من المفاجأة:

«ادريان يتكلم».

«مرحباً، ادريان».

بدا صوتها خشناً ولم تستطع اخراج كلماتها بسهولة:

«كيف حالك؟».

«احسن بكثير شكراً. انني افكر اذا امكن ان آتي لاراك. لبرهة من الوقت هذا المساء».

احست باجراس فرح تقرع حولها:

«بالطبع، ادريان. سيسرني ان اراك».

«ساكون هناك، لنقل خلال ربع ساعة».

اغلقت التلفون. وبعد قليل كانت سيارته في ممر البيت واضطرت روزالي ان تمنع نفسها من الاسراع الى الباب الخارجي قبل ان يضغط الجرس. لقد بدا صوت الجرس معبراً عن الفرح. وقفا هناك ينظران احدهما للآخر بدون حركة. ثم قال بابتسامة مهذبة:

«هل لي ان ادخل يا روزالي، ام يجب ان القي كلمتي على عتبة الباب؟».

«ارجوك، سامحني يا ادريان. ان ذلك بسبب رغبتي ان اراك وقد عدت الى حالتك الطبيعية».

ظهرت امها على باب غرفة الدراسة:

«ادريان، لطيف ان نراك ثانية، لقد اقلقتنا». اخذت يده ونادت: «فرانكلين، جاء ادريان».

رحب فرانكلين به مفترضاً انه سيلحق بهم في غرفة الدراسة. لقد بدا ادريان محرجاً ورفع حاجبيه الى روزالي في استفسار صامت كأنه ينتظر منها ان تأخذ المبادرة.

«ادريان يريد ان يراني لبضع دقائق يا بابا».

«آه، بالطبع تفضلا. ارجو المعذرة. سنراك بعد ذلك ربما».

دخلا غرفة الدراسة.

«هل تريد ان تذهب الى الطابق الأعلى ام السفلي، يا ادريان؟».

«في الطابق الأعلى يا روزالي».

وفي غرفة نومها قالت:

«اجلس يا ادريان، تبدو احسن بكثير».

جلس ادريان على الكرسي ووقفت امامه:

«انني ادين بالشكر لك يا روزالي. انني جئت. . .».

«لتشكرني لكل ما عملته وتعتذر».

جلست على حافة كرسيه واضافت:

«حسناً، كلا يا ادريان، لا اريد اياً منهما لا الشكر ولا الاعتذار».

امسك يدها ووضعها على خده:

«السيدة فيلفز اخبرتني بأنني جعلتك تبكين. اريد ان اعتذر حول ذلك على الأقل».

سحبت يدها منه برفق:

«حسناً، دعنا نترك الموضوع عند هذا الحد، يا ادريان».

وقف ووضع يديه على كتفيها:

«هل نأخذ المسألة من ذلك الحد، اتقصدين ذلك؟».

سحبها اليه لكنها قاومت وابدت وجهاً خالياً من التعبير تجاه وجهه.

«ليس هناك شيء نأخذه يا ادريان. لا يمكن ان نكون غريبان كما كنا في السابق لأسباب واضحة. ولكن يبدو واضحاً لي هو اننا لا يمكننا لسبب بسيط هو انه حتى الصداقة تتطلب وجود الثقة. وانت لست على ثقة مني».

احست ان الكلمات التي تنطقها تعصر في روحها. ثم سحبت نفسها ببطء:

«انني اعرف ما تتصوره حول تصرفي وحول اخلاقياتي...».

«روزالي، انني اسحب كل ما قلته. كل كلمة قلتها».

ابتعدت قليلا وهزت رأسها:

«لا يمكنك ذلك. كما تعلم. فانت تؤمن فعلاً بانني من ممتلكات والبس ماسون».

قام بحركة حادة نحوها وكأنه يريد ان يسكتها:

«تلك الكلمات التي تفوهت بها وانا متأسف الآن عليها بشدة قد قلتها تحت ضغط الظروف».

«واذا قلت لك انني ذاهبة معه مساء الغد الى البيت لأرى ميلاني وانا سنأخذها الى المسرح المحلي لرؤية عرض خاص بالاطفال وسأقضي جزءاً من المساء هناك. فان الثقة التي تحاول ان تضعها فيّ ستموت بسرعة موتاً بلا ألم».

مثل قلبي في هذه الدقيقة، همست لنفسها، وهي ترى وجهه يتحول الى قناع صلب.

كانت شفتاه متسمرتين. وجلس على الكرسي كأن ساقيه لا تملكان القوة الكافية لحمله:

«هل تحاولين طردي؟».

لم تجب على سؤاله وكان هناك سكوت مؤلم. ثم عادت تسأله:

«هل عادت امك الى بيتها؟».

«نعم هذا الصباح. ارادت ان تراك، ولكن انا...».

«كلا. كلا انك لم تدعها تتلوث. لن تدعها تقابل شخصاً بهذه المستويات الاخلاقية الضحلة كالتي هي عندي. تقابل امرأة تتجول مع رجل متزوج يتظاهر بانها زوجته...».

ادارت وجهها، لم تتمكن من ايقاف الدموع:

«انك لست احسن من الآخرين».

واجهشت بالبكاء. «ان اتهاماتك خالية من اي اساس. وحكمك مبني على دليل غير صحيح. ومهما اعلنت عن براءتي فانك لن تصدقني. ولن تنصت الي ابداً».

وقف خلفها وانزل يديه الى كتفيها. ثم همس:

«توقفي عن اقران اسمك باسمه يا روزالي، ذلك كل ما ارجوه».

«لا استطيع بسبب ميلاني».

«انك تضعين رأسك في شرك سيقوم هو بالضغط عليه بالتدريج حتى...» وراحت اصابعه تشتد على عنقها «ويحل الك هكذا. صدقيني، روزالي، انا اعرف ذلك. لقد رأينا مثل ذلك من قبل فانك لم تكوني الأولى بكل تأكيد. ان الاختلاف هنا، هو ان يلعب اللعبة بطريقتك انت».

ادارها نحوه ونظر بعمق ولهفة الى عينيها.

«واعملي ما ارجوه منك يا روزالي. مرة اخرى ارجوك، اتوسل اليك من اجل مصلحتك ان لم يكن لمصلحة غيرك، توقفي عن اقران نفسك به».

صار وجهه كوجه الطفل المعبر عن رجاء. عكس ذلك صورة ملتهبة في دماغها فهزت رأسها بألم شديد:

«لا استطيع يا ادريان بسبب ميلاني».

دفعها جانباً ومشى نحو الباب:

«طابت ليلتك يا روزالي. مع السلامة».

مع تلك الكلمة عرفت انه قد وضع حداً بينها وبين حياته، الى الابد.

يبدو ان ادريان قد عزلها تماماً عن حياته فعندما يلتقيان قلّ ما اعارها اهتماماً. وعندما كان يجيء الى البيت ظلت هي بعيدة عن طريقه. حتى انها مرة اساءا تقدير حركتيهما فتعثر احدهما بالآخر في القاعة. اعتذر احدهما للآخر لكن اتصال جسميهما سبب تجمداً في اشتياقها له ورفعت عينيها اليه ومعها توسلت بالصفح. رأت نظرته الفولاذية فتراجعت.

وبينما قارب الفصل الدراسي على الانتهاء، اخبرها والدها يوماً بأن ادريان قادم ليتناول الطعام مساء غد. وانه سيأتي بجين معه. لذلك سيكون لديها شخصان اضافيان لاطعامهم غداً.

هبط قلبها عند سماعها، تمنت لو انها لا تلتقي بهما وحاولت التفكير في طريقة للخروج من ذلك. لكنها تعرف انها يجب ان تكون موجودة لتقوم بواجبات الطبخ والمضيفة وخادمة المطبخ.

كانت جين في مزاج مرح جداً في ذلك المساء. وكان وجهها الجميل قد حمل المزيد من البريق في الايام الاخيرة. ولاحظت روزالي بقنوط الاهتمام الذي يبديه ادريان في اجابة حاجاتها. امتدحت الطبخ بحماس وهي تلتفت الى سارة. لكن سارة اشارت الى روزالي بتلويح من يديها.

«اشكري ابنتنا يا جين»، علقت بفخر «فهي مدبرة البيت ومجهزته في هذه العائلة. انها كفوءة في ذلك فأتركها تقوم به».

كانت روزالي تحاول ان تغير الانتباه عنها. لذلك بدأت تنظف الأواني الموجودة في غرفة الدراسة:

«اتركيها» قالت امها كعادتها، «سأجمعها وانظفها انا بعدئذ».

وعندما ذهبوا بدأت روزالي بمهمة الغسيل، وكانت في منتصف عملها عندما جاء ادريان تناول منشفة وراح يجفف الأواني المغسولة.

لم تنطق كلمة واحدة وكان انفعالها يزداد بصورة غير معقولة مع مرور كل دقيقة. كيف يتمكن ان يقف بهذا القرب ومع ذلك يعاملها وكأنها غير مرئية. اي حق يمتلكه عليها وكأنها قد خالفت كل قانون اخلاقي في الكتاب؟ واخيراً نظرت اليه وقد تحشرج صوتها من العاطفة.

«لا حاجة بك ان تساعدني. لا حاجة مطلقاً. لماذا تتصور اني ارحب دائماً بمساعدتك. انه شيء اكاد لا افهمه. عد الى صديقتك انها تحتاج اليك اكثر مما احتاج انا».

اقترب نحوها وقال: «يبدو انني اتذكرك تقولين مثل هذا من قبل. وقد كنت احمق لئلا افهم الاشارة في حينها. اما الآن، فانني افهم».

رمى المنشفة على الطاولة وتابع:

«والآن ان عدت لأقف هنا كي اهان كلما حاولت عن طيب خاطر، ولا شيء اخر ان اخفف عنك بعضاً من عملك».

«اشكرك جداً على مساعدتك».

قالت وراء ظهره قبل ان يغلق الباب، ثم اكملت بسخرية «التي قدمت بدون داع او دعوة!».

لكنه وقف خلف الباب مما جعلها تغير نبرتها:

«شكراً لقدومك الى عشاء معسكر العدو».

كان صوتها يتذبذب بحدة وانفعال لكنها استمرت:

«انني اقدر مبادرتك رغم انني اعلم بانك لا تعني كلمة واحدة مما

قلت».

اراد ان يتكلم لكنه صلب من موقفه وعاد الى غرفة الدراسة. وبعد وقت من الزمن اتصل نيكول:

«مرحباً، حبيبي» قال بدون حياء: «وقت طويل، لم نركم فيه!».

«بحق السماء!» قالت روزالي ضاحكة. «صوت من الماضي البعيد!».

«متأسف يا روزالي، كنت مشغولاً».

«اني اقدر ذلك يا نيكول. انها جميلة جداً».

«من؟».

«جين هيلورد. صديقتك الجديدة. ومن غيرها؟».

«جين؟ انها ليست صديقتي. ولن تكون كذلك».

«اوه. افهم ما تعني. كانت غير متعاونة وانت لم تقم بأي مبادرة؟ حسناً لماذا لا تأتي هذا المساء؟ انها تعمل هنا ويمكن ان نرتب اللقاء على فنجان من القهوة».

«هل صحيح هي في بيتكم الآن؟ يا روزالي؟ وليس لديك مانع اذا ما...».

«لو كان لدي مانع لما دعوتك، اليس كذلك؟ ولكن كن متهيئاًللمبارزة، اذ ان لديك منافساً، صديقها الآخر الدكتور ادريان كرافورد».

«ماذا؟ هو» قال بلهجة المتحدي: «سأصل خلال عشر دقائق».

وبعد عشر دقائق وصل على عتبة الباب. امسك بروزالي وحاول عناقها لكنها قاومت: «لا تجعلنا نكون منافقين في هذا يا نيكول. لقد انتهى كل شيء بيننا اليس كذلك؟ اذا كان هناك شيء». وكان يهم بالاحتجاج على قولها لولا انفتاح غرفة الدراسة.

ويبدو ان والدها اخبر الآخرين لأن صوت جين رن بتعجب فرح. سمعها نيكول فاستجاب وكأنه نداء حب من غابة بعيدة:

«ذلك صوت جين» تنفس بابتسامة كابتسامة البخيل. ظهرت جين على مدخل الباب فقام نيكول يحملق في وجهها باعجاب خال من الكياسة:

«جين» تمتم، «اي مفاجأة لطيفة!».

«اليس كذلك!» قالت روزالي. «لقد قلت لك انها هنا ودعوتك لتراها».

ارتفع حاجبا ادريان بتعبير صامت ساخر.

«هل هذا صحيح يا نيكول؟» ابتسمت جين وهي تسأله. «هل كنت تعرف انني هنا ولهذا السبب انت جئت؟».

بدا ادريان وكأنه جرح في القلب:

«ماذا، جين، اتهجرينني لأجل رجل آخر وصداقتنا تترعرع لتوها؟» وقفت روزالي فجأة وذهبت لتهيء القهوة. وبينما وصلت الباب وادارت وجهها لتغلقه، لاحظت بقايا تهجم واضح على وجه ادريان. اغلقت الباب وراءها احست وكأنها تريد ان تكسر شيئاً او ان شيئاً ما لا بد ان يكسر في داخلها. وعندما دخل ادريان المطبخ وراءها كادت تختطف قدحاً وترشقه فيه. اتكأ باعتناء على الحائط وراح يراقبها.

«ما الذي حدث؟ الا تتحملين ان تأخذي المقعد الخلفي لتغطي عليك امرأة اخرى» قال ساخراً منها، كانت نظرتها العصبية المنفعلة تكفي لأن تجمده حتى النخاع، لكنه تماسك ولم يبد اي ارتعاش من مظهره.

«لا استطيع ان ارى رجلين بالغين» قالت بانفعال، «يجعلان من نفسيهما حمارين لأجل فتاة لعوب. هذا كل ما في الأمر!». كانت يداها ترتعشان لكنها لم تستطع ان تعمل اي شيء حول ذلك اذ يبدو انها لم تعد تستطيع السيطرة عليها. جاء ادريان وامسكها: «اهدأي ايتها الفتاة. سيطري على نفسك».

احست بلمسته تلسعها كالسلك الكهربائي فسحبت يديها منه:

«انت لا تختلف عنه في الرداءة. لن اذهب الى هناك مرة اخرى.

لذلك فامامك المسرح خال. هذه الفناجين هي للبهو. وهذان الفنجانان سآخذهما لوالدي في غرفة الدراسة. سآخذ قهوتي الى الطابق الأعلى الى غرفتي واتناولها هناك بسلام وهدوء. ولتحيا الوحدة».

حملت الصينية الصغيرة وسارت نحو الباب:

«ويمكنك ان تخبر صديقي، تصحيح صديقي السابق، ان لا يكلف نفسه بتحيتي عندما يغادر. يمكن ان يقضي وقته بأخذ صديقته الجديدة الى بيتها».

ثم عادت الى سخريتها:

«ما لم تطالب انت بالطبع بشرف مرافقتها. وفي هذه الحالة فان عليك ان تتصارع معه في النهاية. اليس كذلك؟».

ابتسم بصورة عصبية وحمل الصينية الأخرى الى البهو. وبعد ذلك سمعت روزالي جين وهي تغادر. وبدأت سيارة تتحرك. عندئذ اخذت تفكر من يا ترى قد كسب المعركة لأجل مرافقتها الى بيتها. ثم سمعت ادريان يضحك في غرفة الدراسة. وبرعشة من قلبها عرفت الجواب.

٧ - مشاعر . . . اخوية!

بعد بضعة امسيات، اكملت روزالي عملها بوقت مبكر وقررت ان تقوم بغسل شعرها وقامت بحله ثم تجفيفه وتشره ناعماً ومشرقاً حول عنقها نازلاً على كتفيها. ثم لبست اقدم سراويلها وهو احمر مشرق ذو رقعة على مكان الركبة ثم لبست قميصاً اخضر زمردي ينقصه احد الأزرار. فاحست برغبة لصنع الملابس بيديها. ففتحت قطعة من قماش بدلة مزخرفة باشكال نباتية كانت قد اشترتها مؤخراً من احد المخازن في موسم تخفيض الاسعار. وقامت بنشر القماش على الارض ووضعت عليه بتروناً من الورق ثم بدأت تقص بمحاذاة البترون. كانت تجلس على ركبتيها وهي تتحرك على طول البترون والقماش مستمرة في القص، عندما سمعت وقع اقدام تصعد السلم، تلتها دقة على الباب. فنادت:

«ادخل يا بابا».

واستمرت تقص حول البترون.

«اليس هناك نهاية لانجازاتك يا آنسة بارهام؟».

«ادريان!».

ارتعشت على صوته وجلست على قدميها وقد قطبت وجهها:

«وماذا تريد».

«وانت تعرفين؟».

قال معلقاً مع ابتسامة ملتوية: «يجب ان تكوني مرحباً على الحصير

لأنها كلمة لا يبدو ان لها اثراً في قاموسك هذه الأيام».
«انني متأسفة».
تمنت ان تكون سخريتها قد اثبطت عزيمته، لكنه بدا مستأنساً منها:
«عندما تأتي مرة اخرى سأقوم لاداء التحية لك. هل سيجعلك هذا اكثر سعادة؟».
«نعم كثيراً».
قال ثم جثا على ركبتيه الى جانبها وتمنت لو انه غادر الغرفة اشار الى المادة المستعملة في نسيج القماش والبترون الموجود فوقه وقال:
«هذا يدل ان لديك دماغاً فنياً. اوضحي لي ذلك!».
حاول ان يستهزيء قليلاً من اجابتها.
«اوضح لك؟ انت بكل بساطة لا تدرك ذلك يا دكتور كرافورد. لا يمكنني بعد الآن تعليمك خفايا وفنون خياطة الملابس اكثر مما يمكنك تعليمي اسرار الرياضيات».
«ليس هناك اسرار في الرياضيات. من الواضح انك قد كرهت الموضوع في المدرسة بسبب سوء التدريس الذي كان يؤديه المعلمون. لم يستطيعوا ان يجعلوك تفهمين الموضوع ربما لانهم انفسهم لا يفهمونه». كانت عيناه تتفحصان عينيها فنظرت الى الاسفل باضطراب:
«ومع ذلك، فانني استطيع ان ادرسك الرياضيات حتى لو كنت مغمضة العينين».
«اوه. وما الذي يجعلك متأكداً من هذا؟».
«في الموقع الأول لديك الذكاء المطلوب، وثانياً».
نزلت عيناه من وجهها وراحت في رحلة من الاستكشاف حول بقية اجزائها:
«انك مادة خصبة يمكن العمل عليها».
ثم عدل من نبرته مع ابتسامة:

«انت قابلة للتطعيم، بضة كالساق الخضراء».
احمر وجهها قليلاً ووقفت على قدميها، ثم اضطربت عندما رأت ان قميصها كان قد افلت من حزام بنطلونها فكشف عن جانبها طوال الوقت. قامت بادخاله ثانية بصورة دقيقة وهي تشعر بقليل من الاحراج بينما كان ادريان يراقب ويبتسم، فسألته ماذا يريد.
«لسوء الحظ ليس لدينا طابعة هذا المساء. لم تتمكن جين من المجيء هذا اليوم والعمل كثير ينتظر الانجاز. قال لي والدك ان لديك هذه الكفاءة، واحدة من كفاءاتك الكثيرة اذن هل يمكننا اقناعك بمساعدتنا؟».
قالت وهي مترددة:
«انني لست طابعة جيدة».
«ذلك لا يهم. كل ما نريده ان نجعل بعض الملاحظات المكتوبة باليد بشكل قابل للقراءة لكي يمكننا العمل عليها. والطريقة الوحيدة لذلك هو ان نطبعها. يمكنك ان تقومي بذلك بكل تأكيد».
«ربما... حسناً سآتي».
ربت على ذراعها:
«ها هي فتاة طيبة حاضرة للمساعدة. تعالي اذن الى عرين الأسد».
«ولكن!».
نظرت الى نفسها
«لا يمكنني ان اتي بهذه الملابس. يجب ان اغيرها».
«لماذا! لا يوجد سوى والديك. ولست شيئاً يستحق ان تغيري ملابسك من اجله، اليس كذلك؟».
جلست الى الطابعة وغادر والدها بعد ان طلب من ادريان ان يشرف على الطبع. لم تكن تود ان تبقى وحدها مع ادريان خصوصاً وانه ينحني عليها، بصورة قريبة جداً حتى انها فكرت ما اذا كان يفعل ذلك متعمداً. حاولت ان تنظم دقات قلبها بينما كان هو يتكلم:

«ولديك رائحة عبقة حولك. اي نوع من العطر تستعملين؟».
«ربما تكون رائحة الشامبو الذي غسلت به شعري».
«آه... الآن فهمت».
غيّرت الموضوع بسرعة ثم تركها اخيراً تستمر بالعمل. جلس بهدوء على كرسي يكتب في دفتر الملاحظات. وكلما احتاجت الى مساعدة كان يأتي اليها فيقف الى جانبها ليعطي ايضاحاً لها. وعندما عاد والدها اكملت روزالي طبع جميع الملاحظات. شكرها وقال انه ذاهب لمساعدة سارة في تهيئة القهوة.
وفي اليوم التالي ذهبت لموعدها مع والبس وميلاني. دقت على باب والبس ودخلت. نهض من مكانه فتح ذراعيه اليها وعانقها مثلما كان يفعل دائماً. واصبحت ترى رغبته في معانقتها اكثر مما تتحمل. وكالعادة وجدت روزالي طريقها الى مطبخ والبس جلست الى المنضدة بينما راح والبس الى الجيران لجلب ابنته. تناولوا شايهم معاً وحاولت روزالي بكل جهد ان تبدو منشرحة لتقابل خفة الطفلة ميلاني.
«سأذهب لألعب مع ميلاني لبرهة من الوقت حتى يحين موعد نومها».
وذهبت بصحبة ميلاني. انها الساعة التي تحس فيها ميلاني بكامل سعادتها. لعبا لعبة المدرسة، والمخزن، ثم قامت روزالي بأخذ الطفلة الى حمام البيت ونظفت لها جسمها واعادتها الى غرفتها.
وضعت ميلاني ذراعيها حول عنق روزالي:
«اتمنى لو انك امي».
قالت وقد تنهدت في شعرها. «ولماذا لا تكونين هنا هذا الصباح عندما استيقظ؟».
«وذلك ما اود معرفته انا».
قال ابوها وهو واقف قرب الباب.
تجاهلت روزالي:

«ولكن ميلاني، يا حبيبتي، انني لست امك وسوف لن اكون. يجب ان تعرفي ذلك».
«لا تذهبي روزالي، ابقي معي». تشبثت بها.
«انني ذاهبة الى بيتي بعد ان تنامي وانت تعرفين ذلك، اليس كذلك؟».
بدأت الدموع ترطب شعر روزالي وحاولت ان تنتزع نفسها من ذراعي ميلاني ولكن كلما حاولت، كلما وجدت الطفلة متعلقة بها. انتزعت نفسها اخيراً لكن ميلاني التصقت بكتفيها وهي تبكي بصوت هستيري. احست وكأنها في فخ. نظرت الى الأعلى فوجدت وجه والبس بتعابير وجهه الحادة وانفه الكبير المدبب. لاحظت عينيه الصغيرتين عليها بنظرة تهمة. قام بحركة سريعة ووضع اصابعه حول خصر ابنته لكن روزالي تراجعت طواعية. سحب الطفلة منها:
«كفى ايتها الطفلة. توقفي عن هذه الضوضاء التي تفعلينها».
توقف بكاؤها بصورة تدريجية.
«اريد امي ان تعود» قالت الطفلة «متى ستعود».
«اسألي بابا يا حبيبتي». دمدمت روزالي «لا اعتقد ان ذلك سيطول الآن». اخذت الطفلة الى فراشها غطتها ثم طبعت قبلة على خدها. «سأبقى حتى تنامي».
بعد قليل، انسحبت روزالي من غرفة الطفلة وبسرعة اختطفت سترتها وحقيبتها اليدوية وخرجت الى الممر المؤدي الى الشارع قبل ان ينتبه والبس اليها:
«مع السلامة يا والبس».
نادت ومشت نحو الباب الخارجي.
«ولكن يا حبيبتي يجب ان اوصلك الى البيت. لا تخافي مني. لن اؤذي شعرة من رأسك الجميل».
ركبت في سيارته وتحركت السيارة في اتجاه بيتها. لم يتكلما طوال الطريق:

«وستأتين مرة اخرى عن قريب يا روزالي؟».

كانت نبرة صوته ناعمة جداً وتوسلية وقد بدت لها بأنها مخلصة حتى بالنسبة لعينيها الشديدتي التشكك والحذر. ترددت في الاجابة لكنها قالت بعدئذ:

«ربما».

دخلت الى بيتها. تمنت ان تكون لوحدها لكنها صعقت عندما عرفت ان ادريان كان هناك. وتذكرت ان والديها قد عملا مفتاحاً خاصاً له لا بد ان يكون قد ترك سيارته في الطريق العام وليس قرب الباب. لقد ارتدت من البرود . . . في عينيه بينما كان يمشي في القاعة المؤدية من المطبخ الى غرفة الدراسة. عرفت انه لا بد قد لاحظ التعب على وجهها. فأحست بأنها منهوكة ومنبوذة وتمنت لو يواسيها احد لكنه اغلق غرفة الدراسة في وجهها.

اسرعت الى الطابق الأعلى ورمت نفسها في فراشها. واطلقت لنفسها عنان البكاء. لا بد لها ان تبكي، ان تعطي الحرية لهذه القوة العارمة من العاطفة التي صارت كنهر جياش يسري بداخلها. وبينما تجمعت الدموع وراحت تهطل كشلال وجدت تخفيفاً لا حدود له من التوتر المتجمع في جسمها عبر الاشهر الماضية. واخيراً هدأت قليلاً واخذت تدرك من الأصوات الموجودة في القاعة تحت. ثم سمعت خطوات ثم دقة خفيفة على الباب:

«روزالي، حبيبتي؟» صوت امها جعلها تنتصب في مكانها.

«نعم؟».

«هل لي ان ادخل يا حبيبتي؟».

«حسناً».

امسكت بمنديلها المشبع بالدموع وفتحت الباب: «مرحباً، ماما. اني آسفة فانني لست بوضع جيد». جلست على السرير.

«اذن فادريان كان محقاً. قال انه سمعك تبكين. هل يمكنني ان افعل شيئاً يساعدك يا حبيبتي؟ انك تبدين في غاية الحزن».

رفعت عينين مثقلتين ونظرت الى قوام امها الرشيق امامها، ارادت ان تقول:

«امسكيني كما امسك انا ميلاني. فانني فتاة صغيرة تاهت في عالم من المشاكل الغريبة. اريدك ان تقولي لي ان كل شيء سيكون بخير. . . مثلما اقول انا لميلاني».

رأت ذراعي امها معلقتين على جانبيها، رأت النظرة الحائرة في وجهها واحست بترددها والغموض الذي اكتنف موقفها. فتحت روزالي فمها لتتكلم، لتصب كل ما في قلبها ولتتضرع بطلب النجدة قالت وهي تهز رأسها:

«اجد من الصعب ان اوضح ما بي. المسألة في غاية التعقيد».

«الا يمكنك ان تحاولي؟».

هزت كتفها بشيء من اليأس.

«هل حدث شيء. شيء انت نادمة عليه يا روزالي؟».

هنا ابتسمت من بين دموعها:

«كلا يا ماما. افهم ما تقصدين. لا عليك ان تقلقي بهذا الصدد».

تنفست امها الصعداء واحست ببعض الاطمئنان:

«يقول ابوك انه قلق عليك في الأيام الأخيرة. لقد رآك مع . . .».

«اعرف ما تريدين قوله. يمكنك ان تقولي لبابا ان لا حاجة له ان يشارك الافكار المنتشرة في الكلية».

«اذن، ما هو الذي يقلقك؟».

نظرت روزالي في الفراغ. لا فائدة من الحديث، فهي لا تتمكن من التفاهم مع امها من منطلق لا تحسنه.

«حبيبتي» قالت سارة بتوسل. «انت تعرفين حبي لك، أليس كذلك؟ انني متأسفة اذا لم استطع ان افهم. احس انني غير جديرة بك. اعرف اني لست اماً جيدة. لكنني ابذل جهدي في هذا الصدد. . .».

«اوه، ماما» وقفت روزالي ووضعت ذراعيها حول امها. «لا تقولي هذا!».

ترقرقت الدموع في عينيها دموع من نوع اخر، دموع حزينة، بأن هذه المرأة المثقفة الرائعة مدركة بنواقصها ونقاط ضعفها. هي تحس بفشلها كوالدة. عرفت روزالي عندئذ انها بالتجربة ونفاذ البصيرة اكبر سناً من امها وبذلك فهي مؤهلة للتعامل مع العالم القاسي المتقلب حولها. واخيراً فقد فهمتا احداهما الأخرى وشعرتا بالتقارب اكثر من اي وقت مضى.

كانت روزالي تلبس ملابسها استعداداً للخروج الى حفلة الكلية السنوية للعشاء والرقص رغم انها في مزاج يكتنفه القنوط وفكر متعب. لم تحل اياً من مشاكلها ولكن قررت لهذه الامسية ان تنسى كل شيء. نظرت في المرآة ورأت صورة غريبة لها في بذلة سوداء ضيقة ذات خيط فضي لامع حيك مع القماش ليعطي حياة بهيجة. سيلاحظها ادريان بكل تأكيد. ذلك واضح. لا يمكن ان تنجو من العيون في مثل هذه البذلة. مشطت شعرها وجعلته تسريحة منحدرة حول وجهها ولبست صندلاً مسائياً اسود والتقطت حقيبتها اليدوية السوداء المصنوعة من الحرير الصقيل. كان وجهها شاحباً رغم المكياج الذي وضعته بكل اعتناء. وعيناها بلا بريق لكنها تتأجج بالتحدي.

كان نيكول قد وعد ان يأتي لاصطحابها. وعندما رن جرس الباب نزلت لفتحه. كان والداها قد ذهبا مبكرين.

«هل نذهب الآن؟ هناك شراب قبل الطعام. لا نريد ان يفوتنا».

تجمع الضيوف في قاعة الكلية ووضعت الطاولات على جانب لتقديم المشروبات. وعندما اخذ نيكول يد روزالي وقادها من خلال الابواب المتحركة تفتحت العيون واسعة نحوهما. وبينما هي تشرب من كأسها وتتحدث مع نيكول كانت تنظر حول القاعة فرأت ادريان. كانت متعمقاً في حديثه مع جين التي كانت تنظر في عينيه بذلك التعبير الطفولي الذي جعلته صفة من صفاتها. بذلتها الزرقاء الفاتحة ابرزت بياض بشرتها وشعرها الاشقر القصير التوى قليلاً حول خديها. ثم التفت ادريان فرأى روزالي. كان مظهر العداء في عينيه قد جعلها اكثر تحدياً فأدارت ظهرها وراحت تتكلم مع نيكول وتضحك، ثم لاحظت واليس يقف لوحده، يرقبها باهتمام.

«يوجد شيء ما يزيد من جاذبيتك هذا اليوم، يا حبيبتي»، قال نيكول، «لن اتركك حتى لا اخسرك».

«انت لست صديقي الآن يا نيكول. انظر الى القاعة لتجد اي فتاة بدون رفقة. فانت حر بالتقاطها».

التفتت لتجد ادريان يراقبها. فنظر نيكول حيث رأى جين معه:

«انظري، أليست تلك جين، انني ذاهب الى هناك، اتأتين؟».

تبعته روزالي مرغمة.

نظر ادريان بدون ان يعلق بشيء في شفتيه لكن عينيه القت كلمة طويلة حادة. عبرتا عن الرسالة الاكيدة، ولو تسمح الظروف لقام بازالة البذلة عن جسمها بالقوة التي اخذ بها علبة السكائر من يديها بعد ظهر ذلك اليوم في شقته. رأت روزالي والديها فقالت:

«اسمحوا لي!». كانا مع مجموعة من الناس فرآها ابوها اولاً:

«اهلاً روزالي عزيزتي!» ثم رأى بذلتها. «لا يمكنني ان اقول انني قد رأيتك من قبل بهذه البذلة يا عزيزتي». امسك بيد زوجته: «هل رأيتها انت يا سارة؟».

قطبت سارة وجهها:

«حبيبتي، لماذا، اعني متى اشتريتها».

«اوه. قبل فترة قصيرة. الا تحبانها. ظننت انها جذابة».

«صحيح انها جذابة. ولكن، حسناً، انها اختيارك. اين ادريان؟

اوه. انه هناك مع جين».

لوحت بيدها له. ثم نودي لتناول العشاء. تحركت روزالي الى جانب نيكول. مشيا خلف ادريان وجين نحو مائدة الطعام حيث

وضعت الطاولات بعضها مع بعض على زاويتين قائمتين تقابل احداهما الاخرى.

«روزالي انظري من هما قبالتنا، جين وادريان».

لا بد لروزالي ان تكبت انزعاجها. لماذا يجب ان يجلسا مقابلها؟ انها لا تريد ان تجلس ساعة واحدة تراقب جين تتودد مع ادريان. ثم راحت تختلس النظر حولها الى واليس واحست براحة اذ رأت انه في النهاية الاخرى من المكان. قدم الطعام واحست روزالي بقلق متزايد وعدم ارتياح مبهم لا تجد له تفسيراً. انها تشعر كأن احداً ما يراقبها وامتد نظرها بدون ارادة نحو نهاية المكان وعندما لمحت واليس ادار نظره في الحال عنها. امسكت بيد نيكول بقليل من القوة كأنها تبحث عن راحة في شخصه المألوف لديها. نظر ادريان ورفع حاجبيه.

عندما انتهى العشاء اخذوا طريقهم من السلم نحو القاعة الرئيسية وعندما بدأت فرقة الموسيقى تعزف اخذ نيكول روزالي الى حلبة الرقص بينما جلس ادريان وجين في زاوية يتحدثان كانت ذراع ادريان ممتدة حول ظهر الكرسي الذي تجلس عليه جين وروزالي تعلم جيداً انهما يراقبانها مع نيكول.

«ان الرقص معك متعة».

«لا تكن عاطفياً لهذه الدرجة، يا نيكول. فانا فقط اصدقاء الآن. لسنا حبيبان. ما لم ترغب ان تجعل جين غيورة عليك، في هذه الحالة يمكنك ان تستمر اذن».

انفعل نيكول بشدة، وتغير وجهه كأنه تذوق لتوه عصير الليمون الحامض:

«انك بعيدة عن طبيعتك هذا المساء يا حبيبتي. هل لك ان تخففي من مزاجك قليلاً والا فانني سأضطر ان اقوم بالتواءة لاذهب الى جين!».

«بكل تأكيد يمكنك، يا نيكول. فانني سأجد مرافقاً اخر في الحال».

رأت شفتيه تتقلصان. وعندما انتهت الموسيقى اخذها نحو الاثنين الاخرين.

انحنى بصورة رسمية امام جين ومد يده اليها. نهضت جين ورافقته الى الرقص. ظلت روزالي واقفة في مكانها:

«اجلسي يا روزالي».

قال ادريان بصوت منفعل لكنها تجاهلته. ثم رأت واليس يتجه نحوها فجلست في الحال.

«ادريان».

ابتسمت بلطف وقالت اول شيء جاء بفكرها:

«اتمنى ان يكون بامكانك ان ترقص معي».

رفع حاجبيه بسخرية:

«اوه؟ وما الذي جعلك تظنين انني اريد ان ارقص معك؟».

لم تسمع ما قاله. فتبع عينيها ورأى السبب في اضطرابها، ثم ضحك بخبث:

«يبدو انك ستجدين لنفسك الآن مرافقاً».

«ادريان، ارجوك انا. . .».

وقف على قدميه:

«انه كله لك!».

ومشى عنها. قفزت روزالي وتبعته، ثم اتجهت الى والديها اللذين جلسا في نهاية القاعة. بعد ذلك قامت للرقص مع احد اعضاء الهيئة التدريسية ممن جلس قرب والديها ثم رقصت مع عدد اخر لكنها كانت تحاول كل ما في استطاعتها تجنب واليس ماسون الذي استمر يتابع خطاها طوال الوقت.

بعد ان تركها رفيقها في الرقص اثناء فترة توقف وقبل ان يطلب احد اخر يدها للرقص رأت ادريان يغادر القاعة حاولت ان تطرد شعور الانقباض. هل هو ذاهب الى البيت؟ بكل تأكيد لا يمكنه ان يترك جين هكذا؟ فانها جاءت برفقته وليست مع نيكول ولا بد ان

يعيدها الى بيتها.

وبينما هي في افكارها سمعت صوتاً:

«امسكت بك اخيراً يا روزالي!» امسكت يد بذراعها وادارت نفسها فوجدت وجه واليس ماسون بابتسامته المختالة:

«تعالي معي سآتيك ببعض الشراب». حاولت ان تتخلص:

«كلا شكرا يا واليس انني لا اشرب الآن». ازدادت شدة قبضته وسحبها. ظل يضع ذراعه حول خصرها وهو يشتري الشراب ويمسك يدها وهما يشربان. اخذ كأسها الفارغ ووضعه على الطاولة:

«الآن سترقصين معي، يا حبيبتي. لا مناقشة. لقد انتظرت طول المساء لذلك».

وراح يرقص معها في حلبة الرقص:

«الآن وقد حصلت عليك، فانني سأحتفظ بك».

«انني متأسفة يجب ان اعود لصديقي».

«اذن فلديك صديق؟» ضغط على خدها. «لم تقولي لي ذلك يا حبيبتي».

انتفضت بقوة وهي تقول له:

«لا تعمل هذا. الناس ينظرون».

«لكنهم ينظرون منذ اشهر يا حبيبتي. لم تكوني لتهتمي بذلك من قبل؟».

سحبها الى جسمه ومرا قرب نيكول وجين. رفع حاجبيه وهمس في اذن جين. نظرت جين اليه وضحكت.

«صديقك مرتاح مع امرأة اخرى كما يبدو. انظري يا حبيبتي، يجب ان اذهب الى غرفة هيئة التدريس. لاجلب ملفاً تركته هناك».

«اذهب انت يا واليس، سأنتظرك هنا».

«انك آتية معي. انني اخاف من الظلام يا حبيبتي. هذه الأروقة الطويلة الفارغة تبعث القشعريرة في هذا الوقت من الليل. تعالي يا حبيبتي حتى تكوني برفقتي». لقد بدت لهجته كأنها اوامر، وحاولت

ان تسحب يدها منه لكنه امسكها بقوة. وعندما مرا عبر الباب المتحرك نحو بهو المدخل جاء ادريان نازلاً من السلم. اجتازهما في طريقه عائداً الى القاعة. ارادت ان تطلب النجدة في عينيها لكنه لم ينظر اليها. وصلا غرفة استراحة هيئة التدريس ودفعها امامه واغلق الباب. بحث عن المفتاح لكنه لم يجده. فتذمر تحت انفاسه:

«لا يوجد مفتاح» سمعته يدمدم. ادارت نفسها.

«مفتاح! لماذا تريد المفتاح».

بدأت تشعر بالخوف.

«انت جئت من اجل ملف يا واليس»:

قالت تذكره. سحب طاولة ووضعها على الباب وثبتها بقوة تحت قبضة الباب.

«سأبحث عن الملف - عندما ننتهي».

«ماذا تعني؟ ننتهي مماذا؟».

اطفأ جميع الأنوار وتقدم نحوها فتجنبته. ركضت نحو الباب لكنه لحق بها قبل ان تتمكن من عمل اي شيء:

«واليس، لا تفعل ذلك ارجوك» ارتفع صوتها: «لا تفعل ذلك!».

اخرس كلماتها وراحت تقاومه كالنمرة. انحرفت عنه وانطلقت لكنه امسك بها ثانية وحرك جسمها بعنف وهو يقول:

«توقفي عن المقاومة!» قال بصوت منخفض «والا سأكون خشناً جداً معك».

ادارت وجهها عن نفسه الذي ينضح برائحة المشروبات لكنه امسك بيدها.

«كدت اجن في الاسابيع الاخيرة، ايتها الصغيرة الشرسة. الآن ستأخذين ما تستحقين، اذن فتوقفي عن التمثيل بأنك صعبة المنال واطيعي رغباتي».

ظلت تقاومه بينما يحاول فمه الالتصاق بها فصفع وجهها. عندئذ

صرخت عالياً فصفعها مرة اخرى. وراحت تبكي. ثم سحبها الى الاريكة القريبة وحاولت ان تستعمل قدميها لتبعده عنها. اطبق عليها لكنها تمكنت من ابعاد وجهها. امتدت يداه الى حنجرتها فصرخت مرة اخرى ثم صار يسمع دقاً سريعاً متواصلاً على الباب.

«من هناك؟».

غطى واليس فمها بيده. استلقت هامدة لبضع لحظات، ثم حركت وجهها قليلاً وتمكنت ان تغرس اسنانها في جسمه. فصاح من الألم ثم صرخت وهي تندفع بعيداً عنه. اخذ احد يدفع الباب بقوة مرة وثانية وثالثة ورابعة فاندفع مفتوحاً بعد ان راحت الطاولة تنزلق الى عرض الغرفة.

وقف ادريان متصلباً بالغضب:

«اترك الفتاة، يا ماسون» كان صوته هادئاً مخيفاً، ثم صار صوته عالياً: «اتركها! واخرجي انت، ايتها القملة والا ساحطم رأسيكما!».

كان واليس يتنفس بشدة وقف على قدميه، عدل رباط رقبته، نظر الى يده المجروحة ومشى باعتدال الى الباب وملابسه مضطربة. اغلق ادريان الباب خلفه وجلست روزالي في مكانها ووضعت رأسها المضطرب النبضات بين يديها لقد تمزقت بدلتها وتمزق حذاءها بينما صار شعرها تشكيلاً من الفوضى. ظل ادريان واقفاً. ينظر اليها بدون كلام.

لم تستطع تحمل ذلك:

«لماذا لا تقل شيئاً» تمتمت من بين كفيها. «قل لي اي امرأة فظيعة انا. هيا، قلها».

جرب الباب مرة اخرى ليتأكد انه مغلق ثم مشى ببطء نحوها: «انني لن اذهب، لن اتركك بعد الآن».

كان صوته رقيقاً ومنخفضاً جلس بجانبها ووضع ذراعه حولها.

«مرة جئت لي عندما احتجتك. انا الآن هنا حيث تحتاجيني. انها

بهذه البساطة».

اخفت وجهها ثانية ثم بدأ رأسها يتحرك. اجهشت بالبكاء وراح جسمها يرتعش واتجهت اليه فأخذها بين ذراعيه. امسكها وحاول ان يوقف جسمها المرتعش.

«لا فائدة من ذلك يا ادريان، لا استطيع ان اتوقف».

«انك تعانين من هزة نفسية - يجب ان اعمل شيئاً».

التقط حذاءها ووضعها في قدميها ثم انهضها باعتناء من الاريكة:

«سنذهب الى مكتب والدك. لدي مفتاح الغرفة الثاني».

كان الرواق مظلماً وفارغاً والضوضاء القادمة من حلبة الرقص تسمع بصورة خافتة. فتح ادريان غرفة ابيها وادخلها فيها. واجلسها على الكرسي.

«تحتاجين الى دفء. يوجد غطاء في سيارتي سأذهب واجلبه. اعدك انني لن اتأخر طويلاً. اذا كنت تخافين اقفلي الباب».

لكنها هزت رأسها. جلست هناك لوحدها تنتظر فقط. عاد لها في الحال ولف جسمها بقوة بقطعة من التارتان المقلم وهو يبتسم في وجهها:

«تبدين الآن كأنك جدتي».

ردت الابتسامة عليه بضعف.

«سآخذك الى البيت».

قالت له:

«انك تعاملني بكل طيبة يا ادريان» ثم تذكرت «لكنك لا تستطيع ان تأخذني الى البيت. وماذا عن جين؟».

«انها على احسن حال مع رفيقك الشهم. سأخبر نيكول بأنني برفقتك حيث سيكون متفرغاً لرفقة جين. اذا لا يوجد مانع عندك فليس لديه اي مانع ولا انا».

«ماذا ستقول لوالدي؟».

«بأنك تعانين من صداع شديد. انه حقيقة اليس كذلك؟».
ابتسم ثم ذهب. راحت هي في شبه اغماءة تريد ان توقف التفكير وهي تنصت الى اي صوت وحركة تعلمها عن عودة ادريان:
«تم ترتيب كل شيء؟».
ساعدها على لبس معطفها ووضع الغطاء حولها مرة اخرى. وضع ذراعه على كتفها وذهب بها الى الخارج. مرا في ظلام وهدوء ومشيا الى موقف السيارات. اخذت الرعشة تخف في جسمها لكنها كانت في غاية الانهاك والاعياء. ساعدها لتصعد في سيارته والقت رأسها على جانب السيارة. لم يتكلما طوال الرحلة. استعمل ادريان مفتاحه لفتح الباب الخارجي واخذها الى بهو البيت. فتح مدفأة كهربائية.
«يجب ان تتناولي قليلاً من الشراب. لا يمانع والدك اذا منحت لنفسي الحرية في مشروباته؟».
«كلا، بالطبع. انت واحد من العائلة. تذكر هذا؟».
نظر اليها بسرعة وابتسم:
«بدأ الصداع يخف، هذا واضح. الآن اشربي هذا كله».
اخذ الكأس الفارغ واعاده الى مكانه.
«ادريان. كيف وجدتنا. ما الذي جعلك تنظر هناك؟».
تغير تعبير وجهه:
«رأيتك تذهبين خارجاً معه. وبقيت اضبط الوقت. بعد برهة من الوقت بدأت اقلق وساورتني الشكوك، فذهبت اولاً الى غرفته. وجدتها فارغة. ثم ذهبت الى غرفة عمل الموظفين. لا شيء هناك، واخيراً قبل ان يتملكني اليأس وانا افكر قد تكونين ذهبت معه الى بيته، قررت ان اذهب الى غرفة هيئة التدريس فوصلت لحسن الحظ في اللحظة الحاسمة».
«لا اعرف كيف اشكرك. انني متأسفة ان اسحبك هكذا من حفلة الرقص، لكن يمكنك ان تعود الآن، اليس كذلك؟».

«لا اعتزم ان اعود الى الحفلة. سانجز بعض العمل هنا لقضاء الوقت، حتى يعود والدك».
«ولكن ادريان لا حاجة بك ان تبقى...».
«انظري يا روزالي. قد اعتنيت بي مرة. تنازلت عن عطلتك من اجل ذلك لا يمكن ان انسى ذلك. ولم اتمكن من رد ذلك الجميل. الآن استطيع عن طريق العناية بك». رفعها برفق على قدميها:
«تعالي واصعدي السلم. عندما تكونين في فراشك. سأجلب لك بعض الحليب الساخن».
«انك تعاملني بطيبة يا ادريان».
ورفع ذقنها الى الأعلى ونظر في عينيها. كانت عظامها تذوب امامه وهو يقول لها:
«توقفي عن المناقشة واصعدي معي السلم».
فعلت مثلما قال لها، وعندما صارت في فراشها نادت عليه فأتاها بكوب من الحليب الساخن:
«مع قليل من الشوكولاته، اليس هذا يناسب ذوقك؟».
وبينما هي تشرب جلس هو على سريرها.
«ادريان؟» نظر اليها. «لم تقل كلمة من التأنيب لي رغم انك بلا شك تفكر بأفظع الأشياء عني».
فكر قليلاً ثم هز رأسه:
«ليس هناك ما يقال، اليس كذلك؟».
قطب وجهه ثم وقف على قدميه.
«لا بد انك كنت عارفة ان ما حدث كان في الحسبان، ومع ذلك فقد تجاهلت كل تحذير وجهته اليك. السؤال الآن، الذي يقلقني جداً هو، ما الذي ستعمله بعد الآن؟».
نظرت اليه ببرود:
«لا اعلم. انني لا اعلم ابداً. لا زالت هناك ميلاني».
اغلقت عينيها والقت رأسها على الوسادة. اخذ كوب الحليب

الفارغ وهم بالخروج.

«هل اطفىء المصباح؟».

«نعم من فضلك. لدي مصباح بجانب السرير» ابتسم لها:

«شكراً مرة اخرى لكل ما عملته».

«بكل ممنونية. اعتبريه من مستوى الحب الأخوي. خصوصاً باعترافك انت فإنني اخوك المتبنى. الست كذلك؟».

اطفأ المصباح واغلق الباب وذهب.

٨- اللقاء والوداع

لم يبق من الفصل الدراسي سوى اسبوع واحد. تفرّق الطلاب ولم يعد هناك مزيد من المحاضرات. لم تبق سوى الأعمال الادارية وتهيئة التقارير وتنظيم السجلات وجداول الفصل القادم.

بعد ظهر الاثنين ذهبت روزالي لغرفة ابيها تنتظره هناك حتى يأخذها الى البيت. لكنها وجدت ادريان في الغرفة:

«هل تشعرين بحالة احسن الآن؟».

سألها مع ابتسامة ودية.

«نعم احسن بكثير. شكراً».

ذهبت الى مكتب السكرتيرة:

«هل تمتعت بحفلة الرقص يا جين؟ ووصلت الى البيت بسهولة؟».

«كانت حفلة رائعة يا روزالي. اخذني نيكول الى البيت، خرجنا معاً امس».

ونظرت الى روزالي نظرة مترددة.

«هل لديك مانع في ذلك؟».

«ولماذا أمانع يا جين؟ كل شيء كان انتهى بيننا منذ مدة طويلة. هناك شخص اخر لنيكول...».

عرفت من السكون في الغرفة الأخرى ان ادريان كان ينصت لهما:

«من الواضح جداً ان نيكول كان يبحث عن فتاة مناسبة فكنت

أنت في الانتظار. عبري له عن تحياتي وأتمنى لكما السعادة».

عادت بعد ذلك الى غرفة ابيها وكان هو هناك. وجه ادريان اليها نظرة طويلة. اخرج قلمه من جيبه ووضع ورقة على طاولة والدها وكتب بضع ملاحظات.

«هل ستسافرين انت يا روزالي؟».

سألها بدون ان يرفع رأسه.

«نعم، سأذهب في تلك الرحلة التي فقدتها في العطلة النصفية. لكن سأذهب هذه المرة لوحدي. حيث أبقى ثلاثة أيام ثم التحق بماريون في دار لينغتون».

ضحك بعد ان أدار رأسه نحو كتفه قليلا:

«سأتأكد هذه المرة ان لا أحرمك من عطلتك».

وبعد ذلك تكلم فرانكلين فأخبر ادريان:

«سارة وأنا سنكون غائبين طوال شهر آب (اغسطس) يا ادريان. فاذا وصلتنا مسودات الكتاب سأقوم بارسالها اليك بالبريد. هل سيكون ذلك مناسباً لك؟».

هز رأسه بالموافقة ثم سأله:

«الى أين انتما ذاهبان يا فرانكلين؟».

«الى جنوب فرنسا. لدى سارة أقرباء يعيشون هناك وقد دعونا الى قضاء مدة طويلة معهم».

نظر الى ابنته:

«روزالي لا تريد ان ترافقنا رغم انها قد شملت بالدعوة».

«قلت لك يا بابا أريد ان أرى بعض أجزاء بلادي. سبق وسافرت الى الخارج لكنني لم أر أماكن في انكلترا مثل الوديان الجميلة وتلال الكليدفيلاند».

نظرت بسرعة الى ادريان الذي أعاد قلمه الى جيبه وجمع أوراقه وكتبه وغادر الى البيت.

جاء يوم الاثنين، صباحاً مضيئاً ينبىء ببزوغ الشمس. كانت

روزالي تتناول فطورها عندما سلّم ساعي البريد المسودات لكتاب ابيها. جاء والدها الى المطبخ حيث بدأت لتوها في تنظيف أواني الفطور. وقف الى جانبها. أطلق قحة خفيفة كأنه يريد تصفية حنجرته:

«عزيزتي، حيث ان سفرتك ستأخذك الى مقربة من منطقة أم ادريان وسيكون ابنها معها عندئذ، فكرت لو امكنك اخذ هذه المسودات بيدك وتسليمها اليه شخصياً بدلاً من ان تغامر بارسالها بواسطة البريد».

أطلق قحة صغيرة اخرى لتصفية حنجرته.

«وعندئذ ستكون المسودات في أمان. أعني انني سأكون مُرتاحاً نفسياً اذ أحس انها في أيدٍ أمينة».

حاولت روزالي ان تخفي ضحكة تملكتها ونظرت الى والدها بتعبير بريء:

«لا أمانع اذا امكن ايجاد مكان لها في كيس حاجياتي الجوّال وانها لن تتلف من كثرة حملها مع حاجياتي على ظهري».

«هل سيتطلب منك قطع مسافة للوصول الى بيت إم دريان».

«لا أعتقد ذلك كثيراً». ثم قطبت وجهها قليلا: «انني غير متأكدة ما اذا سيسرّ ادريان برؤية وجهي وهو في عطلته. سأغامر بذلك من هذه الناحية. ثم انني لن أفعل اكثر من تسليم الأوراق».

بدا والدها مسروراً من ذلك.

«حسناً، سأتركها على مائدة الطعام لكي تضعيها في كيسك الجوال. المهم انك لن تنسيها».

ابتسمت لوالديها وقبلتها قبلة التوديع طالبة ان لا يقلقا عليها. «انني الآن فتاة كبيرة». ثم ضحكت. «واعرف كيف اهتم بنفسي».

وبعد ان خرجت معها الى الطريق ولوحت لها بآخر تحية وداع احست ان الضياع انتابها بحزن مبهم حول مستقبلها الذي ظل

يضرب في فكرها كما يضرب الطير بمنقاره. كان لمناظر الطبيعة الخلابة في وديان يوركشاير الأثر الكبير على انغماس روزالي التام بالتمتع في عطلتها ونسيان همومها ونوازع افكارها. فتجولت في تلال وترليدل الخلابة وزارت الشلالات في ازيغارث فنظرت بذهول الى منخفضات هاردرو. وبعد ان مرّت في سوالديك حيث تمتعت بجمالها وصلت الى قصر برنارد الشهير وهي تعلم طول الوقت انها تقترب من ادريان وعندما سددت قائمة الفندق استعارت جدولا زمنيا من صاحب الفندق وقررت ان تأخذ حافلة ما بعد الظهر المتوجهة الى ميدلتين- ان- تيسديل على بعد عشرة أميال من مكان وجودها. تناولت غداء خفيفاً وبدأت رحلتها التي كانت مريحة ومؤنسة. وعندما وصلت سألت عن الطريق الى حيث تسكن ام ادريان حتى وصلت البيت. بدا عليها الاضطراب حينما وصلت عتبة البيت، ليس هناك أي حركة. رفعت مدق الباب وتردد صدى ضربتها عليه. مرت بضع دقائق وكادت تتأكد ان البيت خال لولا انها سمعت حركة في القاعة ثم فتح الباب. ظهرت سيدة بشعر اختلط بالشيب، ذات جسم مملوء قليلا وقد انعكس ذلك على امتلاء وجهها الممدود ايضا. تمكنت روزالي من معرفتها على الفور. انها الصورة الموجودة على منضدة ادريان تظهر في الحقيقة.

«السيدة كرافورد؟ اسمي روزالي بارهام. هل ادريان هنا؟».

فتحت الباب على مصراعيه واتسعت الابتسامة بترحيب لا غبار عليه:

«تفضلي يا عزيزتي. كم رائع منك ان تأتي الينا. يسرني جداً ان قابلتك اخيرا. سأنادي على ولدي. انه في الطابق الثاني».

لكن ولدها سارع نازلا على السلم، وهو لا يكاد يصدق عينيه. كانت هناك نظرة ثابتة حائرة في وجهه وهو ينزل الى القاعة. وساعدت السيدة كرافورد روزالي على خلع كيسها الجوال عن ظهرها.

«ضعيه في الداخل، يا عزيزتي، وتعالي لا بد انك تريدين قدحاً من الشاي».

وهنا هز ادريان رأسه بقوة وكأنه يطرد الذهول عنه وقال:

«مرحباً روزالي. لماذا جئت؟».

أرادت ان تبكي بسبب انعدام الترحاب في نبرة صوته:

«لقد جلبت مسودات المطبعة للكتاب الذي قال والدي انه سيرسلها اليك».

«حسناً سأضع المغلاة على النار».

حاولت منع رغبتها في البكاء. لم تكن تتوقع ان تستقبل بذراعين مفتوحتين لكنها لم تتوقع هذا الجفاف من ادريان. ومع ذلك فقد قضت الليلة في ضيافة أم ادريان. وفي الصباح قررت روزالي مواصلة جولتها في المنطقة لترى مناطق أخرى من وديان ومنحدرات يوركشاير.

قامت السيدة كرافورد من مقعدها الى رف الكتب امامها وأخرجت دليلا لوديان ومنخفضات يوركشاير. ثم اقحمت ولدها في الحديث:

«اعرض هذا على روزالي. صورة الهاي فورس حتى لا تعود الى بيتها قبل ان تراه. خذ مكاني على المقعد حتى تكون الى جانبها. تعالَ الى هنا يا ولدي». وضع مجلته الفنية جانبا وجلس بجانب روزالي وفتح الدليل الملون وراحا ينظران الى الصور فيه. كاد رأساهما يلتقيان وهما ينظران في صفحات الدليل. أشار الى الصورة التي احتلت صفحة كاملة وقال لها: «الهاي فورس» وراح يقرأ عالياً كيف ينساب نهر التيمز من كروسفيل بانحدار ٧٠ قدماً في شق عميق هائل في الأرض فيحدث خريراً هائلا...

«يجب ان تأخذها الى هناك يا ادريان» قالت امه.

«توجد اماكن كثيرة» قالت روزالي معلقة «سأترك المنطقة غداً فقد رأيت قسماً منها».

«واذن يجب ان تأتي السنة القادمة».

قالت السيدة كرافورد.

في الليلة الثانية، احست روزالي وكأنها لم تنم شيئاً من الليل حينما سمعت دقة خفيفة على الباب. انه الصباح التالي وقد نامت بهدوء وراحة طوال الليل:

«روزالي، اتسمحين ان أدخل؟».

ثم فتح ادريان الباب دون ان ينتظر جواباً كان في رداء النوم وتقدم في الغرفة يحمل قدحين من الشاي. جلست روزالي بسرعة، وأخذت قدحاً منه بينما راحت عيناه تطوفان حولها.

«حتى في بداية الصباح تبدين جميلة. لا اعرف كيف يحصل ذلك».

«يبدو انك تريد اعتبار ذلك ذنباً. انت تقول ذلك وكأنه قد اغاظك».

«وهل أبدو هكذا؟ اني اعتذر».

مشى نحو الشباك وفتح الستائر وراح يشرب شايه، وهو ينظر الى الحديقة.

«انه يوم جميل. انك محظوظة مع الطقس. سترين هاي فورس بكل قوتها المائية».

قالت بقليل من المزاح:

«ألا تقلق امك انك هنا في الغرفة معي».

التفت اليها:

«أتعنين بالنسبة الى اللباقة والأصول وما الى ذلك؟ أوه كلا، انها تريدني ان أتزوج. ألم تلاحظي ذلك؟».

ثم أطلق ضحكة صغيرة ساخرة:

«ربما ظنت ان ذلك تمهيد مني لطلب يدك».

وضع قدحه الفارغ جانباً:

«لا بد ان يأتي اليوم الذي سأتزوج فيه، على الأقل لأرضي رغبتها

في الحصول على احفاد».

آلمتها سخريته بصورة حادة وأرادت ان تؤلمه ايضا. لا يهم ما ستقول، المهم انها تريد ان تجرح شعوره بقدر ما جرحها لتوه.

«نعم».

قالت وقد صفت قدحها ايضا وأخذت تنظر اليه تريد ان تقرأ ما في وجهه.

«يجب ان تتزوج. يجب ان تجد لنفسك امرأة معتادة على قول نعم، لتغذي كبرياءك وتطابق خيلاءك. امرأة يمكنك استعمالها كممسحة الأرجل عند الباب، ولا تمانع فقدانك روح التفهم والأصول، وبرودتك وعقلك العلمي الحسابي».

مشى نحو السرير وعيناه تريدان تمزيقها.

«واستمري في تقدير احسن صفاتي. في الواقع ذلك ما يعطي ذاتيتي زخماً من القوة».

«لكن ذاتيتك هذه انما تتغذى فوق التخمة بما لا طاقة لها به لدرجة الانفجار، ذلك بسبب تعاليك الفكري وانجازاتك الأكاديمية. انت بدون شك لست بحاجة لأن اقول لك عن جاذبيتك وذكائك وو...».

حاولت اخفاء رأسها في غطاء فراش النوم لكنه رفع رأسها عن الفراش وأمسك برسغيها وأجبر ذراعيها على التراجع الى الوسادة رغم مقاومتها. كانت عيناه تتفحصان وجهها تفصيلا كالمفتون المستشاط غضباً، بينما استسلمت صاغرة امام قوته.

«اتعرفين ما هو جزاء كلامك هذا؟».

انزل وجهه عليها حتى عانقته ثم انزلقت ذراعاه حولها وصارت تشعر بأصابعه تقبض على جسمها بقوة. كان عناقه طويلا وشديداً.

ثم رفع رأسه ببطء وهو يتنفس بصعوبة قائلا:

«ها هو عقلي الجيد أمنحك اياه».

صارت تخاف الآن، تخاف من المشاعر التي ايقظها فيها، تخاف

من برودة المعتاد في الحديث معها تخاف فوق كل ذلك لأنه لا يستطيع ان ينظر اليها هكذا ومع ذلك لا يحبها. أغلقت عينيها لئلا ترى عينيه وتركت رسغيها اللذين أمسكها منها. وبعد وهلة فتحت عينيها وكانتا رطبتين من الدموع وهي تقول:

«لماذا تكرهني انت يا ادريان؟».

ابتسم قليلا وهو ينظر حوله.

«اذن فانني أكرهك. هل ان مشاعري تريك هكذا؟ ولكن في كل حال المشاعر متبادلة، أليس كذلك؟».

أغلقت عينيها ثانية. لو نظر اليها الآن، فانها تعرف انه سيكتشف الجواب.

«ادريان». امه نادته من الطابق الأسفل. «قبلة صباح الخير لروزالي استغرقت وقتاً طويلا منك على ما يبدو. هلا خرجت وتركتها ترتدي ملابسها... انك لم تتزوجها بعد».

رفع حاجبيه وابتسم:

«أفهمت ما أقصده من قولي حول والدتي؟»...

مشى نحو الباب.

«يجب ان تنهضي بسرعة. ثم عليك ان تعلمي ان هذا السرير يعود لي. من حقي ان استرجعه منك عن طريق احتلالي له دون انذار مسبق وقبل ان يتسنى لك اخلاءه».

بعدئذ غادرالغرفة. وبعد الفطور ذهبت روزالي الى الطابق الثاني لتجمع حاجياتها. كان ادريان في غرفة النوم فاعتذرت لتطفلها بالدخول. التقطت رداء نومها ودسته في الكيس الجوّال الذي تحمله على ظهرها في ترحالها ثم انتزعت شراشف السرير وأعادت ترتيب الفراش لتوفر على امه. وبعد توديع السيدة كرافورد ركبا سيارة ادريان في طريقهما الى دارلينغتن حيث ستلتقي هناك بماريون. كانا صامتين معظم الوقت الذي استغرقته الرحلة. كان ادريان يبدو مشغول الفكر بينما كانت هي تفكر في عباراته العتيدة.

«والنساء؟ لدي المناعة ضدهن».

«واين ستقابلين ماريون؟».

«خارج الفندق».

«وأين ستذهبين غداً؟».

«الى درهام، لأرى المدينة. سنقضي هناك ليلتين. بعد ذلك سنذهب جنوباً الى يورك لقضاء الليلة وسنصل الى بيوتنا يوم الاثنين مساء».

«وماذا بعد ذلك؟».

«لا أعرف. هناك بعض القضايا التي يجب تصفيتها».

«تقولين، يجب، هل هناك خطورة في هذه القضايا».

اخذ وجهها يتغير ويعبّر عن مرارة وحزن، ثم قالت:

«ادريان، اشعر بالتزام أدبي لا بد ان اتحمله. لا يمكنني التنازل عن التزامي لطفلة واليس. ليس عليّ ان اخبرك بهذا ولكن... لقد اتصل واليس بمحاميه ليقتفي اثر زوجته لغرض استعادتها».

«تلك حجة غرضها خداعك يا روزالي».

«لكنني متأكدة بأنه جاد في ذلك من اجل ابنته على ما اعتقد».

«اذن فقد صوابه الى حد التحدث معك عن زوجته».

ظلت صامتة. لا تستطيع الكلام عن زواج واليس غير السعيد لان هذا سيعني نسف ما تبقى من ثقته.

«لا فائدة من هذا الحديث يأدريان».

قالت وهي تحس بجفاف حنجرتها وتصلب شفتيها.

«انني لا يمكن ان اخيّب أمل الطفلة». ثم رفعت يدها وقالت: «مع السلامة، واشكرك لجعلك عطلتي في غاية السرور والسعادة».

تجاهل يدها: «لا تنسي حقائبك».

هذا كل ما قاله. اخذت أشياءها ونزلت من السيارة وكأنها تحس بالضياع.

«مع السلامة، ادريان»، اعادت عليه.

«مع السلامة، روزالي».

٩ - البرقيات السعيدة

مضت الأيام التالية كيفما اتفق. فقد صممت روزالي الا تخبر ماريون اي شيء عن ادريان. لكن الجهد الذي بذلته لتبدو سعيدة ولتعرض اهتماماً في ما يريانه أضاف مزيداً من الانهاك على تفكيرها حتى انها عندما عادت الى البيت مساء الاثنين كانت في غاية الاعياء وشعرت بالتوعك في صحتها عامة. وفي اليوم التالي تلفنت الى واليس لتسأله ان كانت ميلاني بصحة جيدة فقال لها انه ذاهب لجلبها من بيت جدتها دعاها لتأتي الى بيته فرفضت ولم يستطع اقناعها بكل ما قاله لتغيير رأيها. ثم اقترح ان تأتي معه وميلاني يوم الخميس المقبل الى ساحل البحر فقبلت بالاقتراح:

«هل سنأخذ غداء للرحلة؟ سأهيء وجبة خفيفة».

اتفقا ان يأتي اليها في الصباح الباكر فقد صمم ان يأخذهما الى هناك في كل الأحوال - كما قال - سواء كان الجو صحواً ام ممطراً. ولقضاء الوقت حتى ذلك الحين ولتوقف تفكيرها بادريان، قامت بتهيئة عدة صفحات من الملاحظات لمحاضراتها في السنة الآتية. تلفن نيكول في اليوم التالي واخبرها انه وجين مخطوبين بصورة غير رسمية.

«واني مسرورة اذ أسمع ذلك، يا نيكول. اخبرني عندما تكون الخطوبة رسمية لكي اشتري لكما هدية الخطوبة».

كان النهار الذي قضته روزالي مع واليس وميلاني نهاراً دافئاً

ومشمساً سبحت في البحر مع ميلاني وصنعتا قصوراً من الرمال ونماذج للصدف واستلقت تحت اشعة الشمس. لم يتحرك واليس من مكانه قرب ملابسها. لقد بدا اكثر اتزاناً ومشغول الفكر.

«هل هناك ما يقلقك يا واليس؟»

سحب ركبتيه الى قرب ذقنه ووضع ذراعيه عليهما:

«لدي مشاكل».

قال وعيناه تنظران الى جسمها وهي مستلقية ببدلة السباحة الى جانبه. ثم ضحك:

«ان منظرك يبعث على الرغبة».

اعتدلت وجلست في مكانها وهي تشعر بالذنب. ارادت ان تعتذر. ثم قال لها:

«روزالي، عندما تعود، اريد ان اتحدث اليك. هل توافقين على تناول كأس من الشراب معي عندما تكون ميلاني قد أوت الى فراشها؟».

«انا.. انا لا اعرف يا واليس».

«ارجوك يا روزالي ليس هناك ما يخيفك مني بعد الآن».

«حان الوقت ان نذهب الآن في اي حال».

نادت ميلاني لتعود وتجفف نفسها. ثم ابدلتا ملابسهما معاً بعد ان اختفتا خلف منشفتيهما الكبيرتين. وفي الطريق الى البيت توقفوا لشرب الشاي. وعندما وصلوا كانت الطفلة تعبة فحملتها فوراً الى فراشها ثم راحت لتجلس مع واليس في بهو البيت، اعطاها كأساً من الشراب وجلس الى جانبها على الاريكة ثم تحدث لها عن زوجته وعزمه على الاجتماع بها غداً من اجل ازالة الخلاف. ورجاها ان تحتفظ بميلاني خلال نهار غد فوافقت وقالت انها ستأخذها لقضاء النهار في لندن.

وبعد ان اوصلها واليس الى بيتها، احست بالكآبة والحزن في كل زاوية من البيت. جلست في كرسي واطلقت العنان لحيرتها

وتعاستها. كان سكون البيت ضحلاً ومتعباً. الفراغ يكتنف كل شيء، والفراغ في نفسها هو ما لا تستطيع علاجه. وفجأة مزق جرس التلفون السكون. انتظرت لحظة قبل ان تمشي قاطعة القاعة لتجيب. وكأنها لسبب ما تخاف الرد عليه: «لا بد ان يكون والبس حول موعد الغد» فكرت لنفسها ورفعت السماعة:

«روزالي؟».

كاد يقع جهاز التلفون بكامله الى الارض. ادريان؟ لا بد ان يكون خيالها قد خدعها. احست كأنها ستبكي. ثم جاء الصوت مرة اخرى:

«روزالي! هل انت هناك؟».

«هل المتكلم ادريان؟».

تكلمت بهمس.

«نعم كنت خارج البيت طوال النهار مع...».

«روزالي اني قادم نحو الجنوب لقضاء بضعة ايام لاقابل الناشرين. واريد ان اقابلك غداً».

«غداً؟ هل يجب ان يكون ذلك غداً؟».

أوه، ادريان. اني متأسفة. سأكون خارج البيت خلال النهار. سآخذ ميلاني الى لندن».

انهمرت دموع الاندحار على خديها.

«أها. كان علي ان اعرف ذلك. اذن فهذه هي المسألة... هل انتم ذاهبون معاً. انتم الثلاثة/ ام...» نبرة امل رفعت من صوته «فقط انت وميلاني؟».

«نحن... ابوها ذاهب ليحاول اعادة زوجته».

تبع ذلك برهة سكون «اني افكر ما اذا امكن ان آتي معك؟».

«تأتي معنا؟».

كيف يمكنها ان تمنع الفرحة من صوتها؟ انها لم تحاول. «اوه ادريان، سأكون في غاية السرور. انها لمسؤولية كبيرة ان آخذ طفلة

الآخرين بمفردي، كل هذا الطريق».

«اذن فسآتي. سآخذك بسيارتي، الى المحطة. ثم نأخذ القطار الى لندن. هل انت موافقة؟».

«ذلك رائع يا ادريان».

اتفقا على موعد ثم سألته عن امه. اغلقت سماعة التلفون. الآن البيت برمته يرقص لها طرباً. اخذت آلامها بالتلاشي وران الفرح يحملها بفيض من السعادة الى لقاء الغد.

وصلت ميلاني الى بيت روزالي مبكرة. ظل والبس يراقبها وهي تدخل البيت ثم غادر. رقصت ميلاني على رقصة روزالي عندما علمت ان ادريان سيصطحبها. قررت روزالي ان تلبس بدلة جديدة حمراء غامقة ... ذات رقبة دائرية وقد فصلت لتكون شديدة الالتصاق بجسمها. حقيبتها وحذاؤها باللون الابيض ومشطت شعرها في تسريحة حول وجهها واستعملت ظلا خفيفاً من المكياج. ارادت ان تبعث السرور عند ادريان. وصل ادريان في الوقت المحدد فسارت نحوه بدون تردد مدت قامتها اليه وطبعت قبلة على خده.

«انها كلمة الفراشة» قال ثم سحبها نحوه: «والآن انقل اليك حب والدي وعندما تريها ثانية قولي لها اي ولد مطيع اناه.

وقفت لبرهة من الوقت بين ذراعيه وكأنها تشرب من تعابير وجهه. ثم مرر اصبعه على حاجبيها.

كانت ميلاني تنظر اليهما بقليل من الحيرة والغموض. امسكت ببدلة روزالي:

«والآن قبليني مثلما قبلت اخوك».

«هو ليس...».

«الا تحبيني؟».

«لم تجيبي على سؤال الفتاة يا روزالي؟».

ضحك ادريان وازداد اضطراب روزالي.

«بالطبع احبك يا ميلاني».
قال ادريان مرة اخرى:
«ما زلت لم تجيبي على السؤال».
«متى سنذهب؟» ارادت ميلاني ان تعرف.
«هل انت مستعد يا ادريان؟».
«انني مستعد لأي شيء يا روزالي».
استغرقت رحلة القطار حوالى الساعة. واشترت روزالي بعض مجلات الفكاهة لميلاني وجلست بجانبها بينما جلس ادريان قبالتها. وعند وصولهم راحوا في جولة سياحية في المدينة بدأوها ببرج لندن ثم اصطفوا في الطوابير الطويلة ليروا مجوهرات التاج وتناولوا الغداء في احد مطاعم ساحة الطرف الاغر في لندن.
«منذ سنين لم اقم بمثل هذه الجولة».
قال ادريان وهو يبتسم لروزالي:
«انها لتغيير لطيف برفقة لطيفة».
نظرت ميلاني اليهما ولاحظتهما يتبادلان الابتسامة: «هل تحبين اخاك؟».
سألت روزالي.
«ادريان ليس اخي يا ميلاني».
«ولكنه يحبك، اذن لا بد ان يكون اخاك».
«في اي حال جميع الاخوة لا يحبون اخوتهم».
قالت روزالي وهي تتجنب الموضوع. وفي نهاية النهار كانت ميلاني متعبة فنامت في القطار ورأسها يتكىء على ذراع روزالي وجلس ادريان الى جانبها ممسكاً بها. وعندما وصل القطار الى المحطة ذهبوا الى موقف السيارات حيث ترك ادريان سيارته. خفض ادريان سرعته عندما اقترب من الرصيف قرب بيت ميلاني. ونزلت روزالي مع الطفلة فطلب ادريان منها بحدة:
«ارجعي ادراجك على الفور. على ابيها ان يحملها الى فراشها».

«ولكن ادريان...».
كان صوته هادئاً بصورة مخيفة:
«سمعت ما قلته. ستعودين فوراً وفي الحال. لا يمكنك ان تتأخري».
عندما اقتربت روزالي الى الباب مع الطفلة لاحظت من خلال ستائر الشبابيك شخصين يجلسان متقاربين. انحنت على ميلاني وقبلتها لآخر مرة.
«تصبحين على خير الآن. سأتركك. لديك مفاجئة لطيفة بالانتظار في داخل البيت. انك لن تحتاجي بعد الآن».
ثم ضغطت على جرس الباب وركضت الى سيارة ادريان والتفت لترى ميلاني تستقبل بحرارة.
وعندما وصولها الى البيت فتح ادريان الباب بمفتاحه ورافقها الى بهو البيت. كانت صامتة، اغلقت عينيها وتدحرجت الدموع على خديها:
«اجلسي. سآتيك ببعض القهوة. من الواضح انك تعانين من اثر هزة عاطفية. تحتاجين شيئاً من الانعاش».
شربا القهوة بصمت ثم اتكأت على كرسيها بينما مدد ادريان جسمه على الاريكة.
«اذن، فقد انتهت القضية، وخرجت منها سالمة. لا اعتقد انك تدركين ان نجاتك كانت قيد شعرة. لقد افلت من مأزق».
«هل ستظل ساخراً حتى النهاية؟».
قالت وانتصبت واقفة.
استمر ادريان يتحدث بالنبرة الاستفزازية الساخرة نفسها.
«لقد اديت الواجب وضميرك الآن صاف فاصبحت حرة اخيراً من حبائل والبهر ملصونه».
ما الذي يقصده من هذا الكلام؟ سألت نفسها. لكنه استمر بنبرته:

«هل انت الآن اكثر استقراراً وبقلب مطمئن يا روزالي؟ وهل انت فعلا ممتلئة بالحب الأخوي لي كما قلت لميلاني؟».

ارتسم على شفتيه شبح ابتسامة حائرة. واستمر:

«اذا كان الأمر هكذا، فانني متأسف لأنني لا امتلك ذرة واحدة من الحب الأخوي لك».

قطبت وجهها ثانية: ما الذي حدث له؟ ما الذي تتوقعه؟ هل هو اعلان منه عن حبه ام انه عرض للزواج؟ من رجل سبق وأوضح من البداية انه لا يمكن لامرأة ان تأخذ مكاناً دائماً في حياته. وكما قال بكلماته «محصن ضد المرأة». انه رجل صعب المنال.

اعتدل بقامته امامها وقال بصوت هادئ:

«تعالي الى هنا يا روزالي».

مشت نحوه حتى اقتربت امامه. كانت يداه في جيبي بنطلونه وتحملت هي عينيه المتعطشتين وهما تنظران اليها.

«هل استعدت توازنك الآن؟».

انها تعرف انه انما يشير الى افتراقها عن ميلاني. أومأت بالايجاب. ثم أخذ يتكلم بسرعة.

«ذلك فيه الخير، لأنني سآتيك الآن بمفاجأة أخرى».

اخرج يديه من جيبيه، وقبل ان تتمكن من أخذ نفس، اخذت ذراعاه جسمها بقوة وعانقها، وعندما اخذ ما فيه الكفاية، كانت تلهث بشدة. ثم ضغطت بخدها على صدره. كان صوته يتقطع وهو يقول من بين شعرها:

«ان لم يقنعك كل هذا بأني احبك، فانني سأقوم بعمل أكثر اقناعاً. انظري الي يا حبيبتي. دعيني أرى هاتين العينين الجميلتين».

نظرت اليه، ثم همس وكأنه يكلم نفسه:

«نعم، انها تبعثان رسالة، عالية وواضحة. اتحبينني؟».

اعطته الجواب وأعادته مرات حتى قطع عناقه كلماتها.

«ينبغي عليك ان تتزوجيني يا حبيبتي. عندما تركتني في دارلينغتن، شعرت وكأنني فقدت جزءاً حيوياً من جسمي. لا بد ان آتي نحو الجنوب، لم أتمكن من البقاء بعيداً عنك. انني بدونك نصف حي». وبعد سكوت قليل: «ستتزوجين عالم رياضيات، الا يقلقك هذا؟».

هزت رأسها.

«لقد تكيفت لمعشرهم. قطعت اسناني اللبنية على قاعدة الرياضيات. شخص اضافي في العائلة؟ استطيع تحمله ايضا».

ثم دفعت نفسها اليه.

«خصوصاً انه انت».

«سأدرّسك الرياضيات يا حبيبتي. لقد وعدتك بذلك».

«ما اريده اكثر من أي شيء آخر في العالم، ادريان، هو ان أكون زوجة لك».

«لن اعطيك فرصة اطول يا حبيبتي. في خلال يومين. . .».

استغربت من قوله:

«ولكن، ادريان. . .».

«انذرك يا حبيبتي، اذا حاولت ان تجعليني انتظر، سأحطم جميع القواعد. سأنتقل لأسكن معك و. . .».

انصاعت لطلبه. وفي اليوم التالي بينما كان ادريان يستحصل الترخيص الخاص، ذهبت روزالي لشراء حاجيات لزواجها. فاشترت بدلة مع سترة زرقاء قاتمة واختارت قبعة صغيرة بيضاء ثم اشتريا معاً خاتم الخطوبة والزواج. وبعد يومين تم زواجهما وكان هناك معهما نيكول وجين. حيث كانت روزالي قد تلفنت لنيكول لتنقل اليه النبأ ودعته مع جين لحضور الحفل في دائرة المسجل المحلي وليكونا شاهدين. انتقل ادريان لبقية ايام العطلة ليعيش مع روزالي. وفي احد الأيام بينما اشرفت العطلة الصيفية على الانتهاء، سحب ادريان روزالي وأجلسها على ركبته وقال:

«يا زوجتي الجميلة، حان الوقت لأن تتذكر وجود العالم

الخارجي، لنخبر بعض أقاربنا ما الذي عملناه. والا فانهم سيعرفون فيما بعد اننا نعيش معاً فيبنون الظنون حول ذلك، أليس كذلك؟».

نظرت الى خط شفتيه ثم عانقته.

«اذن ما الذي تقترحه يا حبيبي؟».

«ان نرسل برقيات الى جميع الجهات حتى يكونوا سعداء بذلك».

ثم بدأ باستعمال التلفون وأرسلا برقية الى والديها في جنوب فرنسا.

«تم زواجنا لم نستطع الانتظار لحين عودتكما. نأمل تفهمكما وموافقتكما. مع حبنا لكما. روزالي- ادريان».

ثم ارسلا برقية الى أم ادريان.

«تم زواجنا نعلم انك توافقين. توقعي وصولنا في أي وقت لشهر عسل قصير. مع حبنا لك. ادريان. روزالي».